أصـــول الوصـــول
إلى حـــب الرســـول ﷺ

لاشك أن حب النبي ﷺ من الإيمان، والإيمان يزيد وينقص، وكلما إزداد إيمان العبد إزداد حبه لرسـول الله ﷺ، ولذا كان الصحابة رضي الله عنهم أبر الأمة قلوبًا وهم أوفر الناس من هذه المحبة، فكانت محبـتهم له ﷺ أكثر من محبة الآباء والأبناء والزوجات والعشيـرة والأموال، ففدوه ﷺ بالأبناء والآباء، فكان أبو بكر رضي الله عنه يكثـر من قوله: «نفديك بآبائنا وامـهاتنا يا رسول الله»، وذلك لتوفـير أسباب المحبـة عندهم، فليكن العبد حريص على تحصـيل الأسباب التي تصل به في النهاية إلى حب النبي ﷺ .. ومن أهمها:

الأصل الأول
محبة الله ـ عَز وجَل ـ

لأن محبة النبي ﷺ من لوازم مـحبة الله ـ عَزَّ وجَلَّ ـ، وكلما ازداد حب العبـد لله ـ عَزَّ وجَلَّ ـ ازداد كذلـك حبه لرسـول الله ﷺ، ومحبـة الله ـ عَزَّ وجَلَّ ـ هي حياة القلوب وغذاء الأرواح، وليـس للقلب لذة ولا فلاح ولا حياة إلا بها، وإذا فـقدها القلب كان ألمه أعظم من ألم العين إذا فـقدت نورها والأذن إذا فقدت سـمعها، بل فسـاد القلب إذا خلا من محبة فـاطره وبارئه وإلهه الحق أعظم من فسـاد البدن إذا خلا من الـروح. وهذا الأمر لا يصدق به إلا من فـيه حياة، وما لجرح بميت إيلام.

وإذا كان النبي ﷺ أولى بنا من أنفسنا في المحبة ولوازمها، أفليس الرب ـ

جل جلاله ـ أولى بمحبته وعبادته من أنفسهم وكل ما منه إلى عبده يدعوه إلى محبته مما يحب العبد ويكره، فعطاؤه ومنعه ومعافاته وابتلاؤه وقبضه وبسطه وعدله وفضله وإماتته وإحياؤه وبره ورحمته وإحسانه وستره وعفوه وحلمه وصبره على عبده وإجابته لدعائه وكشف كربه وإغاثة لهفته وتفريج كربته من غير حاجة منه إليه، بل مع غناه التام عنه من جميع الوجوه، كل ذلك داعٍ للقلوب إلى محبته، فلو أن مخلوق فعل بمخلوق أدنى شيء من ذلك لم يملك قلبه عن محبته، فكيف لا يحب العبد بكل قلبه وجوارحه من يحسن إليه على الدوام بعدد الأنفاس مع إساءته، فخيره إليه نازل وشره إليه صاعد، يتحبب إليه بنعمه وهو غني عنه، والعبد يتبغض إليه بالمعاصي وهو فقير إليه، فلا إحسانه وبره وإنعامه عليه يصده عن معصيته ولا معصية العبد ولؤمه يقطع إحسان ربه عنه.

وأيضًا فكل من تحبه من الخلق ويحبك إنما يريدك لنفسه وغرضه منه، والله سبحانه يريدك لك، وأيضًا فكل من تعامله من الخلق إن لم يربح عليك لم يعاملك، ولابد له من نوع من أنواع الربح. والرب ـ تبارك وتعالى ـ يعاملك لتربح عليه أعظم الربح وأعلاه، فالدرهم بعشرة أمثاله إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، والسيئة بواحدة وهي أسرع شيء محوًا.

وأيضًا فهو سبحانه خلقك لنفسه وخلق كل شيء لك في الدنيا والآخرة، فمن أولى منه سبحانه باستفراغ الوسع في محبته وبذل الجهد في مرضاته، وأيضًا فمطالبك بل مطالب الخلق كلهم جميعًا لديه وهو أجود الأجودين وأكرم الأكرمين، أعطى عبده قبل أن يسأله فوق ما يأمله، يشكر القليل من العمل وينميه ويغفر الكثير من الذلل ويمحوه، ﴿يَسْأَلُهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ (الرحمن:٢٩)، لا يشغله سمع عن سمع، ولا يغلطه كثرة المسائل، ولا يتبرم بإلحاح الملحين، بل يحب الملحين في الدعاء ويحب أن يسأل ويغضب إذا

لم يسأل، يستحي من عبده حيث لا يستحي العبد منه، ويستره حيث لا ستر نفسه ويرحمه حيث لا يرحم نفسه، دعاه بنعمه وإحسانه وأياديه إلى كرامته ورضوانه، فأبى فأرسل رسله في طلبه وبعث معهم عهده، ثم نزل إليه سبحانه بنفسه وقال: «من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له».

وكيف لا يحب القلب من لا يأتي بالحسنات إلا هو ولا يجيب الدعوات ويقبل العثرات ويغفر الخطيئات، ويستر العورات ويكشف الكربات، ويغيث اللهفات وينيل الطلبات سواه، فهو أحق من ذُكر وأحق من شُكر وأحق من عُبد وأحق من حُمد، وأرأف من ملك وأنصر من ابتغي وأجود من سُئل وأوسع من أعطى وأرحم من استرحم وأكرم من قُصد وأعز من التجئ إليه. أخذ بالنواصي وكتب الآثار ونسخ الآجال، فالقلوب له مفضية والسر عنده علانية، والغيب لديه مكشوف وكل أحد لديه ملهوف، عنت الوجوه لنور وجهه وأشرقت لنور وجهه الظلمات، واستنارت له الأرض والسموات، وصلحت عليه جميع المخلوقات، لا ينام ولا ينبغي له أن ينام، يُرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار وعمل النهار قبل عمل الليل، حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه[1].

فينبغي على العبد أن يسعى جاهداً لإدراك محبته سبحانه والتي تنشأ تارةً من معرفته وكمال معرفته تحصل من معرفة أسمائه وصفاته وأفعاله الباهرة والتفكر في مصنوعاته وما فيها من الإتقان والحكم والعجائب، فإن ذلك كله يدل على كماله وقدرته وحكمته وعلمه ورحمته. وتارةً تنشأ من مطالعة النعم كما في حديث ابن عباس رضي الله عنهما: «أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه، وأحبوني لحب الله»[2].

---

(١) «البحر الرائق في الزهد والرقائق» لفضيلة الشيخ/ أحمد فريد.

(٢) أخرجه الترمذي (٣٨٧٩)، والحاكم في «المستدرك» (٣/ ١٤٩)، وأبو نعيم في «الحلية» (٣/ ٢١١).

❁وقال بعض السلف: «من عرف الله أحبه، ومن أحبه أطاعه، فإن المحبة تقتضي الطاعة».

❁ كما قال بعض العارفين: المحبة الموافقة في جميع الأحوال، ثم أنشد:

ولو قلت لي مت متُ سماعًا وطاعةً ❁❁ وقلت لداعي الموت أهلاً ومرحبًا

ومحبة الله على درجتين:

الدرجة الأولى. وهي المحبة المقتضية لفعل أوامره الواجبة والانتهاء عن زواجره المحرمة والصبر على مقدوراته المؤلمة، فهذا القدرُ لابد منه في محبة الله، ومن لم تكن محبته على هذا الوجه فهو كاذب في دعوى محبة الله، كما قال بعض العارفين: «من ادعى محبة الله ولم يحفظ حدوده فهو كاذب»، فمن وقع في ارتكاب شيء من المحرمات أو أخل بشيء من فعل الواجبات فلتقصيره في محبة الله، حيث قدم محبة نفسه وهواه على محبة الله، فإن محبة الله لو كملت لمنعت من الوقوع فيما يكرهه، وإنما يحصل الوقوع فيما يكرهه الله لنقص محبته الواجبة في القلوب وتقديم هوى النفس على محبته، وبذلك ينقص الإيمان، كما قال ﷺ: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن».

الدرجة الثانية. أن ترتقي المحبة من ذلك إلى التقرب بنوافل الطاعات والإنكفاف عن دقائق الشبهات والمكروهات والرضا بالأقضية المؤلمات . . كما قال عامر بن عبد قيس: «أحببت الله حبًا هوَّن عليَّ كل مصيبة ورضاني بكل بلية، فما أبالي مع حبي إياه على ما أصبحت ولا على ما أمسيت».

❁وقال عمر بن عبد العزيز: «أصبحت وما لي سرور إلا في مواقع القضاء والقدر»، ولما مات ولده الصالح قال: «إن الله أحب قبضه، وأعوذ بالله أن تكون لي محبة تخالف محبة الله».

❁وقال بعض التابعين في مرضه: «أحبُّه إليَّ أحبه إليه ـ سبحانه وتعالى ـ».

الأسباب الجالبة لمحبة الله تعالى :

يقول ابن القيم: الأسباب الجالبة للمحبة والموجبة لها وهي عشرة:

أحدها ـ قراءة القرآن بالتدبر والتفهم لمعانيه وما أُريد به، كتدبر الكتاب الذي يحفظه العبد ويشرحه ليتفهم مراد صاحبه منه.

الثاني ـ التقرب إلى الله بالنوافل بعد الفرائض، فإنها توصله إلى درجة المحبوبية بعد المحبة.

الثالث ـ دوام ذكره على كل حال باللسان والقلب والعمل والحال، فنصيبه من المحبة على قدر نصيبه من هذا الذكر.

الرابع ـ إيثار محابه على محابك عند غلبات الهوى والتسنم إلى محابه وإن صعب المرتقى.

الخامس ـ مطالعة القلب لأسمائه وصفاته ومشاهدتها ومعرفتها وتقلبه في رياض هذه المعرفة ومباديها، فمن عرف الله بأسمائه وصفاته وأفعاله أحبه لا محالة، ولهذا كانت المعطلة والفرعونية والجهمية قطاع الطريق على القلوب بينها وبين الوصول إلى المحبوب.

السادس ـ مشاهدة بره وإحسانه وآلائه ونعمه الباطنة والظاهرة، فإنها داعية إلى محبته.

السابع ـ وهو من أعجبها، إنكسار القلب بكليته بين يدي الله تعالى، وليس في التعبير عن هذا المعنى غير الأسماء والعبارات.

الثامن ـ الخلوة به وقت النزول الإلهي لمناجاته وتلاوة كلامه والوقوف بالقلب والتأدب بآداب العبودية بين يديه، ثم ختم ذلك بالاستغفار والتوبة.

OBEIKAN.COM

التاسع ـ مجالسة المحبين الصادقين والتقاط أطايب ثمرات كلامهم كما ينتقي أطايب الثمر، ولا تتكلم إلا إذا ترجحت مصلحة الكلام وعلمت أن فيه مزيداً لحالك ومنفعة لغيرك.

العاشر ـ مباعدة كل سبب يحول بينك وبين الله ـ عَزَّ وجَلَّ ـ.

❁ فمن هذه الأسباب العشرة وصل المحبون إلى منازل المحبة ودخلوا على الحبيب، وملاك ذلك كله أمران: استعداد الروح لهذا الشأن، وانفتاح عين البصيرة، وبالله التوفيق[1].

الأصل الثاني

قراءة القرآن في المصحف

قال رسول الله ﷺ: «من سره أن يحب الله ورسوله؛ فليقرأ في المصحف»[2]، القرآن هو أحسن الحديث وهو الطيب من القول مزامير الأنس من حضرة القدس بألحان التوحيد في رياض التمجيد، وهو كتاب الله ـ عَزَّ وجَلَّ ـ الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ (الإسراء:٩)، وقال سبحانه: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ﴾ (فصلت:٤٤)، وقال تعالى: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (الأنعام:١٥٥)، وقال ـ عَزَّ وجَلَّ ـ: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ (النحل:٨٩)، والآيات في هذا المعنى كثيرة.

---

(١) «مدارج السالكين» (٣/ ١٧).

(٢) صحيح: أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٧/ ٢٠٩)، وصححه الشيخ الألباني ـ رحمه الله ـ في «صحيح الجامع» (٦٢٨٩)، و«الصحيحة» (٢٣٤٢).

وعن النبي ﷺ قال: «اقرءوا القرآن، فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه»[١].

وعن جابر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «القرآن شافع مشفع وماحل مصدق، من جعله أمامه قاده إلى الجنة، ومن جعله خلف ظهره ساقه إلى النار»[٢].

وعن عقبة بن عامر قال: خرج رسول الله ﷺ ونحن في الصفة فقال: «أيكم يحب أن يغدو كل يوم إلى بُطحان أو إلى العقيق فيأتي منه بناقتين كوماوين في غير إثم ولا قطع رحم»، فقلنا: يا رسول الله، كلنا يحب ذلك، قال: «أفلا يغدو أحدكم إى المسجد فيعلم أو فيقرأ آيتين من كتاب الله - عَزَّ وجَلَّ - خير له من ناقتين وثلاث خير من ثلاث وأربع خير من أربع ومن أعدادهن من الإبل»[٣].

وعن بُريدة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ القرآن وتعلمه وعمل به؛ ألبس والده يوم القيامة تاجاً من نور، ضوؤه مثل ضوء الشمس، ويكسى والداه حلتين لا تقوم لهما الدنيا، فيقولان: بِمَ كسينا هذا؟ فيقال: بأخذ ولدكما القرآن»[٤].

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «يقال لصاحب القرآن: اقرأ وارق ورتِّل كما كنت ترتل في الدنيا، فإن منزلك عند آخر آية تقرؤها»[٥].

قال أبو سليمان الخطابي في (معالم السنن): جاء في الأثر أن عدد آيات القرآن على قدر درج الجنة، فيقال للقارئ ارق في الدرج على قدر ما كنت تقرأ

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم (٨٠٤).

(٢) صحيح: رواه ابن حبان (١٢٤)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٤٤٤٣).

(٣) «صحيح مسلم» (٨٠٣).

(٤) حسن بشواهده: رواه الحاكم (١/ ٥٦٨) وله شاهد ذكره الشيخ الألباني في «الصحيحة» (٢٨٢٩).

(٥) حسن: أبو داود (١٤٦٤)، وابن ماجة (٣٧٨)، والترمذي (٢٩١٤).

OBEIKAN.COM

من آيات القرآن، فمن استوفى جميع القرآن استولى على أقصى درج الجنة في الآخرة، ومن قرأ جزءًا منه كان رقيه في الدرج على قدر ذلك، فيكون منتهى الثواب عند منتهى القراءة.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**يَجيءُ صاحب القرآن يوم القيامة فيقول القرآن: يا رب، حَلِّه، فيلبس حُلة الكرامة، ثم يقول: يا رب، زده، فيلبس تاج الكرامة، ثم يقول: يا رب، ارض عنه، فيرضى عنه، فيقال له: اقرأ وارق، ويزداد بكل آية حسنة**»[(١)].

وعنه أن رسول الله ﷺ قال: «**لا حسد إلا في اثنتين: رجل علمه الله القرآن فهو يتلوه آناءالليل وآناء النهار، فسمعه جار له فقال: يا ليتني أوتيت مثل ما أوتي فلان فعملت مثل ما يعمل. ورجل آتاه الله مالاً فهو يهلكه في الحق، فقال رجل: ليتني أوتيت مثل ما أوتي فلان فعملت مثل ما يعمل**»[(٢)].

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن لله أهلين من الناس**»، قالوا: من هم يا رسول الله؟ قال: «**أهل القرآن هم الله وخاصته**»[(٣)].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من قرأ حرفًا من كتاب الله فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول آلم حرف، ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف**»[(٤)].

---

(١) حسن: رواه الترمذي (٢٩١٥)، والحاكم (١/ ٥٥٢)، وحسنه الشيخ الألباني ـ رحمه الله ـ في «صحيح الترمذي» (٢٣٢٨).

(٢) «صحيح البخاري» (٥٠٢٦).

(٣) صحيح: رواه النسائي في «الكبرى» (٨٠٣١)، وابن ماجة (٢١٥) وإسناده صحيح.

(٤) صحيح: رواه الترمذي (٢٩١٠)، وصححه الألباني في «المشكاة» (٢١٣٧).

OBEIKAN.COM

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، أوصني، قال: «عليك بتقوى الله، فإنه رأس الأمر كله»، قلت: يا رسول الله، زدني، قال: «عليك بتلاوة القرآن، فإنه نور لك في الأرض وذخر لك في السماء»[(١)].

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الأُتْرُجَّة ريحها طيب وطعمها طيب، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل التمرة لا ريح لها وطعمها طيب، ومثل المنافق ـ وفي رواية ـ: الفاجر الذي يقرأ القرآن مثل الريحانة؛ ريحها طيب وطعمها مُر، ومثل المنافق ـ وفي رواية ـ: الفاجر الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة ليس لها ريح وطعمها مر»[(٢)].

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من حافظ على هؤلاء الصلوات المكتوبات لم يُكتب من الغافلين، ومن قرأ في ليلة مائة آية كُتب من القانتين»[(٣)].

وعنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ عشر آيات في ليلة لم يكتب من الغافلين».

وعن النبي ﷺ: «من عَلَّم آية من كتاب الله كان له ثوابها ما تليت»[(٤)]

والأحاديث في فضل القرآن وفضل قارئه والعامل به كثيرة، وقال عثمان بن عفان ذو النورين: «لو طهرت قلوبكم ما شبعتم من كلام ربكم»، ونُقل عن الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ أنه قال: «رأيت الله ـ عَزَّ وجَلَّ ـ في المنام، فقلت يا رب، ما أفضل ما تقرب به المتقربون إليك؟ قال: بكلامي يا أحمد، قال. قلت يا رب بفهم أو بغير فهم؟ قال: بفهم وبغير فهم».

---

(١) حسن بشواهده: رواه ابن حبان (٣٦٢).

(٢) متفق عليه: البخاري (٥٠٢٠)، ومسلم (٧٩٧).

(٣) صحيح: راه ابن خزيمة (٢/ ٢١٨٠)، والحاكم (١/ ٣٠٨).

(٤) صحيح: ذكره الشيخ الألباني في «الصحيحة» (١٣٣٥).

OBEIKAN.COM

الأصل الثالث

الصلاة على النبي ﷺ

فالصلاة على النبي ﷺ سبب لدوام محبته وزيادتها وتضاعفها، وذلك عقد من عقود الإيمان الذي لا يتم إلا به؛ لأن العبد كلما أكثر من ذكر المحبوب واستحضاره في قلبه واستحضار محاسنه ومعانيه الجالبة لحبه تضاعف حبه له وتزايد شوقه إليه واستولى على جميع قلبه، وإذا أعرض عن ذكره وإحضاره وإحضار محاسنه بقلبه نقص حبه من قلبه، ولا شيء أقر لعين العبد المحب من رؤية محبوبه، ولا أقر لقلبه من ذكره وإحضار محاسنه، فإذا قوي هذا في قلبه جرى لسانه بمدحه والثناء عليه وذكر محاسنه، وتكون زيادة ذلك ونقصانه بحسب زيادة الحب، ونقصانه والحس شاهد بذلك.

واعلموا عباد الله: أن الله ـ تبارك وتعالى ـ لطف بعباده المؤمنين وأمرهم بالصلاة على سيد المرسلين ليستنقذهم بها من العذاب الدائم المهين، فصلى عليه ربنا تشريفًا وتكريمًا، وصلت عليه ملائكته تفضيلاً وتعظيمًا. وأمر عباده أن يصلوا عليه ليبيح لهم من الجنة مقامًا كريمًا، فقال من لم يزل سميعًا عليمًا: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (الأحزاب: ٥٦)، فاجتهدوا بنا يا معاشر الإسلام في الصلاة والسلام على محمد خير الأنام ﷺ، فعسى أن يشفعه فينا يوم تشقق السماء بالغمام.

معنى الصلاة على النبي ﷺ:

فمعنى «اللهم صلي على محمد»: أي اللهم أثني عليه في الملأ الأعلى، ومعنى «أثني عليه» أي أذكره بالصفات الحميدة وأذكره عند الملائكة حتى تزداد محبتهم له ويزداد ثوابهم بذلك، هذا معنى «اللهم صلي على محمد».

OBEIKAN.COM

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: إن الله وملائكته يباركون على النبي، وقيل: إن الله يترحم على النبي وملائكته يدعون له. قال المبرد: وأصل الصلاة الترحم، فهي من الله رحمة، ومن الملائكة رقة واستدعاء للرحمة، وقد ورد في الحديث في صفة صلاة الملائكة على من جلس ينتظر الصلاة: «اللهم اغفر له اللهم ارحمه»، فهذا دعاء.

وتأمل أخي الحبيب باقي آية الأمر بالصلاة على النبي ﷺ من خبر وأمر وتأكيد: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾، هذا خبر أخبرنا الله بذلك حثًا لنا على الصلاة والسلام عليه، ﴿اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾، كل الملائكة في كل السموات والأرض يصلون على النبي، والملائكة عالم الغيب من مخلوقات الله لا يحصيهم إلا الله ـ عَزَّ وجَلَّ ـ. فالبيت المعمور في السماء السابعة يدخله كل يوم سبعون ألف ملك كل يوم ثم لا يعودون إليه، يعني يجيء ملائكة غيرهم، إذن من الذي يحصيهم؟ ما يحصيهم إلا الله.

وفي الحديث عن النبي ﷺ: «أطت السماء، وحُق لها أن تئط»[1]، والأطيط: هو أصوات الإبل، ولا يصر إليه إلا إذا كان عليه حمل ثقيل، تسمع له صرخة، ويقول: «وحُق لها أن تئط»، ما من موضع أربعة أصابع إلا وفيه ملك قائم لله أو راكع أو ساجد، والسماء ليست كالأرض، السماء أوسع بكثير بكثير من الأرض، انظر الآن بعدها الشاسع وهي على الأرض كالكرة، فتكون دائرتها واسعة عظيمة والسماء الثانية أوسع والثالثة أوسع، وهكذا كل سماء أوسع من التي قبلها . . إذًا، فهل نستطيع أن نحصي الملائكة؟ بالتأكيد لا نستطيع، فإذا كنا لا نستطيع أن نحصي الملائكة فهل نستطيع أن نحصي صلاتهم عليه ﷺ، فيكون النفي أشد تأكيدًا.

---

(١) صحيح: ذكره الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (١٠٢٠)، و«الصحيحة» (٨٥٢).

انظر إلى هذا الفضل الذي أعطاه ربنا لنبينا ﷺ، فالله أراد منا أن نتشجع وتعلو همتنا بهذا الخبر في الصلاة على النبي ﷺ، ولذا خاطبنا بعده بقوله - جل وعلا -: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾، أي بمقتضى إيمانكم صلوا عليه؛ لأن الإيمان هو الذي يحمل صاحبه على امتثال الأمر، أي ادعوا الله أن يثني عليه في الملأ الأعلى، ﴿وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾، قال أبو بكر بن بُكير: نزلت هذه الآية على النبي ﷺ فأمر الله أصحابه أن يُسلموا عليه، وكذلك من بعدهم أُمِروا أت يُسلموا على النبي ﷺ عند حضورهم قبره وعند ذكره.

وفي معنى السلام عليه ثلاثة وجوه:

إحداها - السلامة لك ومعك.

الثاني - أي السلام على حفظك ورعايتك مُتولٍ له وكفيل به، ويكون هنا السلام اسم الله.

الثالث - أن السلام بمعنى المسالمة له والانقياد؛ كما قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (النساء: ٦٥).

وقال الشيخ ابن العثيمين - رحمه الله -: أي ادعوا الله أن يسلمه في حياته من الآفات الجسدية والمعنوية وبعد موته من الآفات المعنوية، بمعنى أن تسلم شريعته من أن يقضي عليها قاضٍ أو ينسخها ناسخ، وكذلك الجسد؛ لأنه ربما يتعدى عليه بعد موته في قبره.

وقال ابن كثير - رحمه الله -: المقصود من هذه الآية أن الله - سبحانه وتعالى - أخبرعباده بمنزلة عبده ونبيه عنده في الملأ الأعلى بأنه يثني عليه في الملأ الأعلى عند الملائكة المقربين، وأن الملائكة تصلي عليه، ثم أمر تعالى العالم السفلي بالصلاة والتسليم عليه فيجتمع الثناء عليه من أهل العالمين العلوي والسفلي جميعًا.

OBEIKAN.COM

حكم الصلاة على النبي ﷺ :

قال القاضي عياض ـ رحمه الله ـ: اعلم أن الصلاة على النبي ﷺ فرض على الجملة، غير محدد بوقت؛ لأمر الله تعالى بالصلاة عليه، وحَمْلِ الأئمة والعلماء له على الوجوب وأجمعوا عليه. وحكى أبو جعفر الطبري أن محمل الآية عنده على الندب، وادعى فيه الإجماع، ولعله فيما زاد على مرةٍ، والواجب منه الذي يسقط به الحرج ومأثم ترك الفرض مرة كالشهادة له بالنبوة، وما عدا ذلك فمندوب مُرغب فيه من سنن الإسلام وشعار أهله.

وقال القاضي أبو بكر بن بُكير: افترض الله على خلقه أن يصلوا على نبيه ويسلموا تسليمًا، ولم يجعل لذلك وقت معلوم، فالواجب أن يكثر المرء منها ولا يغفل عنها.

وقال الشيخ ابن العثيمين ـ رحمه الله ـ: الصحيح أنها تجب بأسباب، وإلا فالأصل أنها مستحبة.

فضل الصلاة على النبي ﷺ :

عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال: أتيت النبي ﷺ وهو ساجد، فأطال السجود، قال: أتاني جبريل قال: «**من صلى عليك صليت عليه، ومن سلم عليك سلمت عليه، فسجدت لله شكرًا**»[(١)].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**من صلى عليَّ واحدة صلى الله عليه عشرًا**»[(٢)].

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (١/ ١٩١)، والحاكم (١/ ٥٥٠) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجه، وقال الألباني: صحيح لطرقه وشواهده.

(٢) صحيح: أخرجه مسلم (٤٠٨)، وأبو داود (١٥٣٠)، والترمذي (٤٨٩)، والنسائي (١٢٩٦).

وعن يعقوب بن زيد بن طلحة التيمي قال: قال رسول الله ﷺ: «أتاني آتٍ من ربي فقال: ما من عبدٍ يصلي عليك صلاة إلا صلى الله عليه بها عشراً»، فقام إليه رجل فقال: يا رسول الله، أجعل نصف دعائي لك؟ قال: «إن شئت»، قال: ألا أجعل ثلث دعائي؟، قال: «إن شئت»، قال: ألا أجعل دعائي كله؟، قال: «إذن يكفيك الله همَّ الدنيا وهم الآخرة»[(١)].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل عليَّ، ورغم أنف رجل أدرك أبويه عنده الكبر فلم يدخلاه الجنة، ورغم أنف رجل دخل عليه رمضان ثم انسلخ قبل أن يغفر له»[(٢)].

وعن علي بن الحسين قال: أخبرني أبي عن جدي أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تجعلوا قبري عيداً، وصلوا عليَّ وسلموا حيثما كنتم، فسيبلغني سلامكم وصلاتكم»[(٣)]. المعنى: أي لا تجعلوا القبر عيداً تكرمونه بالمجيء إليه كل سنة مرة أو مرتين، وفيه دليل على تحريم شد الرحل لزيارة النبي ﷺ، ولكن الرحل يكون من أجل الصلاة في مسجده فإنها تعدل ألف صلاة فيما سواه، إلا المسجد الحرام.

وعند عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ قال: «إن لله ملائكة سياحين يبلغوني من أمتي السلام»[(٤)].

وعن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: «يحسب امرئ من البخل أن أذكر عنده فلا يصلي عليَّ»[(٥)].

---

(١) رواه الجهضمي (٢٨-٢٩)، وقال الألباني: هذا مرسل صحيح الإسناد، ويشهد له ما بعده.

(٢) أخرجه الترمذي (٣٥٤٥)، وأحمد (٢/ ٢٥٤)، والحاكم (١/ ٥٤٩)، وقال الألباني: إسناده صحيح.

(٣) أخرجه أبو داود (٢٠٤٢)، وأحمد (٢/ ٣٦٧)، وقال الشيخ الألباني: صحيح بطرقه وشواهده.

(٤) صحيح: أخرجه النسائي (١٢٨٢)، وصححه الألباني في «المشكاة» (٩٢٤).

(٥) رواه الترمذي (٣٦١٤) كما في «تحفة الأشراف»، وقال الألباني: مرسل صحيح.

OBEIKAN.COM

وقال ﷺ : «البخيل من ذُكِرت عنده فلم يصل عليَّ»[١] .

وعن محمد بن علي قال: قال رسول الله ﷺ : «من ذكرت عنده فلم يصلي عليَّ خطئ طريق الجنة»[٢] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «ما جلس قوم مجلسًا لم يذكروا الله ولم يصلوا على نبيهم ﷺ؛ إلا كان مجلسهم عليهم ترة يوم القيامة، إن شاء عفا عنهم وإن شاء أخذهم»[٣] .

وعن أوس بن أوس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «إن من افضل ايامكم يوم الجمعة، فأكثروا عليَّ من الصلاة فيه، فإن صلاتكم معروضة عليَّ»، فقالوا: يا رسول الله، وكيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت (بُليت)، قال: «إن الله حرم على الأرض أجساد الأنبياء»[٤] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ما من احد يُسلم عليَّ إلا ردَّ الله عليَّ روحي حتى ارد عليه السلام»[٥] .

وعن أبي بردة بن نيار رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «من صلى عليَّ من امتي صلاة مخلصًا من قلبه؛ صلى الله عليه بها عشر صلوات، ورفعه بها عشر درجات، وكتب له بها عشر حسنات، ومحا عنه عشر سيئات»[٦] .

---

(١) صحيح: انظر «صحيح سنن الترمذي» (٢٨١١).

(٢) رواه الجهضمي في «فضل الصلاة على النبي ﷺ»، وقال الألباني: مرسل جيد.

(٣) صحيح: ذكره الألباني في «الصحيحة» (٧٩).

(٤) «صحيح الجامع» (٢٢١٢)، و«صحيح أبي داود» (٩٢٥).

(٥) «صحيح الجامع» (٥٦٧٩)، و«صحيح أبي داود» (١٧٩٥).

(٦) رواه النسائي في «عمل اليوم والليلة» (٦٤)، وحسنه الألباني في «صحيح سنن النسائي» (١٢٣٠)

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: «من صلى على النبي ﷺ واحدة: صلى الله عليه وملائكته سبعين صلاة»[١].

وعن عامر بن ربيعة عن أبيه رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يخطب ويقول: «من صلى عليَّ صلاة لم تزل الملائكة تصلي عليه ما صلى عليَّ، فليقُل عبد من ذلك أو ليكثر»[٢].

وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال: «الصلاة على النبي ﷺ امحق للذنوب من الماء البارد للنار، والسلام عليه أفضل من عتق الرقاب».

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه ﷺ قال: «أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم عليَّ صلاة»[٣].

وقد ورد في فضل الصلاة على النبي ﷺ أحاديث كثيرة، ذكرنا هنا بعضًا منها، وقد استدل الحافظ ابن حجر في (الفتح) على فضيلتها من جهة ورود الأمر بها من النبي ﷺ واعتناء الصحابة بالسؤال عن كيفيتها.

كيفية الصلاة على النبي ﷺ:

أفضل كيفيات الصلاة على النبي ﷺ هي التي علمها النبي ﷺ لأصحابه عندما سألوه عن كيفية الصلاة عليه ﷺ، وأكملها صيغة التي فيها الجمع بين الصلاة عليه والصلاة على إبراهيم ﷺ، وممن استدل بتفضيل الكيفية التي أجاب النبي ﷺ أصحابه بها: الحافظ ابن حجر في (فتح الباري).

---

(١) حسن موقوف: رواه أحمد (٢/ ١٧٢).

(٢) حسن بشواهده: أخرجه أحمد (٣/ ٤٤٥)، وذكر الألباني في «صحيح ابن ماجة» (٧٣٩).

(٣) حسن لشواهده: أخرجه الترمذي (٤٨٤)، وابن حبان (٢٣٨٩).

فقد قال ـ رحمه الله ـ: قلت: واستُدل بتعليمه ﷺ لأصحابه الكيفية بعد سؤالهم عنها بأنها أفضل كيفيات الصلاة عليه؛ لأنه لا يختار لنفسه إلا الأشرف الأفضل، ويترتب عليه لو حلف أن يصلي عليه أفضل الصلاة فطريق البر أن يأتي بذلك. ثم ذكر أن النووي صوب ذلك في (الروضة)، وذكر كيفيات أخرى يحصل بها بر الحلف، ثم قال: والذي يرشد إلى الدليل أن البر يحصل بما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه: **«من سره أن يكتال بالمكيال الأوفى إذا صلى عليه فليقل: اللهم صلي على محمد النبي وأزواجه أمهات المؤمنين وذريته وأهل بيته كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد»**[(١)].

عن ابن مسعود الأنصاري قال: أتانا رسول الله ﷺ ونحن في مجلس سعد بن عبادة فقال له بشر بن سعد: أمرنا الله أن نصلي عليك يا رسول الله، فكيف نصلي عليك؟ فسكت رسول الله ﷺ حتى تمنينا أنه لم يسأله، ثم قال رسول الله ﷺ: **«قولوا: اللهم صلي على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم، في العالمين إنك حميد مجيد. والسلام ما قد علمتم»**[(٢)].

عن كعب بن عجرة رضي الله عنه، قيل: يا رسول الله، أما السلام عليكم فقد عرفناه، فكيف الصلاة؟ قال: **«قولوا: اللهم صلي على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم، إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم، إنك حميد مجيد»**[(٣)].

---

(١) ضعيف: أخرجه أبو داود (٩٨٢)، والعقيلي (١/ ٣١٨)، والبيهقي (٢/ ١٥١).

(٢) صحيح: أخرجه مسلم (٤٠٥)، والترمذي (٣٤٥٠)، والنسائي (١٢٨٥).

(٣) متفق عليه: البخاري (٣٣٧٠)، ومسلم (٤٠٦).

OBEIKAN.COM

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قلنا يا رسول الله، هذا التسليم، فكيف نصلي عليك؟ قال: «**قولوا: اللهم صلي على محمد عبدك ورسولك كما صليت على آل إبراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم**»[(١)].

كذا في البخاري في كتاب تفسير القرآن ـ في باب قول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾ (الاحزاب:٥٦)، وقال في كتاب الدعوات ـ باب الصلاة على النبي ﷺ ذكر حديث كعب كما ذكرناه، ثم ذكر حديث أبي سعيد باختلاف قليل، قال: عن أبي سعيد الخدري قال: قلنا: يا رسول الله، هذا السلام عليك، فكيف نصلي؟ قال: «**قولوا: اللهم صلي على محمد عبدك ورسولك كما صليت على إبراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم**»[(٢)].

عن أبي حميد الساعدي أنهم قالوا: يا رسول الله، كيف نصلي عليك؟ قال: «**قولوا: اللهم صلي على محمد وأزواجه وذريته كما صليت على آل إبراهيم، وبارك على محمد وأزواجه وذريته كما باركت على آل إبراهيم، إنك حميد مجيد**»[(٣)].

وجميع روايات الكتب الستة والموطأ متفقة تقريبًا مع هذه الروايات، وفي بعضها زيادة «**العالمين**».

وفي سُنن أبي دادو عن عقبة بن عمرو قال: «**قولوا: اللهم صلي على محمد النبي الأمي وعلى آل محمد**»[(٤)].

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٤٧٨٩)، والنسائي (١٢٩٣)، وابن ماجة (٩٠٣).

(٢) صحيح: انظر الذي قبله.

(٣) متفق عليه: البخاري (٢٣٦٩)، ومسلم (٤٠٧).

(٤) صحيح: أخرجه أبو داود (٩٨١).

OBEIKAN.COM

وفي سُنن النسائي عن زيد بن خارجة قال: أنا سألت رسول الله ﷺ فقال: «صلوا عليَّ واجتهدوا في الدعاء، وقولوا: اللهم صلي على محمد وعلى آل محمد»[1].

وقد ورد في كيفية الصلاة على النبي ﷺ روايات كثيرة، لكنها لا تساوي شيئًا في الصحة بجانب روايات البخاري ومسلم وأصحاب السنن والموطأ، فلاينبغي العدول عنها إلى غيرها.

قال السيوطي في (الحرز المنيع): قرأت في (الطبقات) للتاج السبكي نقلاً عن أبيه، ما نصه: أحسن ما يُصلى به على النبي ﷺ بهذه الكيفية التي في التشهد، وهي رواية الصحيحين والسنن، قال: ومن أتى بها فقد صلى على النبي بيقين، ومن جاء بلفظ غيرها فهو من إتيانه بالصلاة المطلوبة في غير شك؛ لأنهم قالوا: كيف نصلي عليك؟ فقال: «قولوا»، فجعل الصلاة عليه منهم، ثم قال: وكان لا يفتر لسانه عن الإتيان بهذه الصلاة.

وبعد كلام قال: ولا خلاف أن من صلى على النبي ﷺ بكيفية من الكيفيات المروية الصحيحة الرواية عنه ﷺ في ذلك فقد أدى فرض الصلاة عليه ﷺ، وهذا الإجماع يشهد أنها على التخير، ويجب عند أهل النظر أن يتخير الإنسان للصلاة عليه أصحها سنداً وأتمها معنى. قال: وقد كنت في أيام شبيبتي إذا صليت على النبي ﷺ أقول: «اللهم صلي وبارك وسلم على محمد وعلى آل محمد كما صليت وباركت وسلمت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد»، فقيل لي في منامي: أأنت أفصح أو أعلم بمعاني

---

(١) صحيح: أخرجه النسائي (١٢٩٢)، وفي «عمل اليوم والليلة» (٥٣).

الكلم وجوامع فصل الخطاب من النبي ﷺ؟ لو لم يكن معنى زائد لما فضل ذلك النبي ﷺ، فاستغفرت الله من ذلك ورجعت إلى نص التفضيل في موضع الوجوب وفي موضع الاستحباب».

صيغ مختصرة في الصلاة والسلام على النبي ﷺ:

قد درج السلف الصالح ومنهم المحدثون بذكر الصلاة والسلام عليه ﷺ عند ذكره بصيغتين مختصرتين: إحداهما: «صلى الله عليه وسلم»، والثانية: «عليه الصلاة والسلام»، وهذان الصيغتان قد امتلأت بها ولله الحمد كتب الحديث، بل إنهم يدونون في مؤلفاتهم الوصايا بالمحافظة على ذلك على الوجه الأكمل من الجمع بين الصلاة والتسليم عليه ﷺ.

يقول الإمام ابن الصلاح في كتاب (علوم الحديث): ينبغي له ـ يعني كاتب الحديث ـ أن يحافظ على كتبه الصلاة والتسليم على رسول الله ﷺ عند ذكره، ولا يسأم من تكرير ذلك عند تكرره، فإن ذلك من أكبر الفوائد التي يتعجلها طلبة الحديث وكتبته، ومن أغفل ذلك فقد حُرم حظًا عظيمًا. إلى أن قال: وليتجنب في إثباتها نقصين: أحدهما ـ أن يكتبها منقوصة، صورة رامزًا إليها بحرفين أو نحو ذلك. والثانية ـ أن يكتبها منقوصة معنى، بأن لا يكتب «وسلم» وإن وجد ذلك في خط بعض المتقدمين.

وقال النووي في كتاب (الأذكار): إذا صلى أحدكم على النبي ﷺ فليجمع بين الصلاة والتسليم، ولا يقتصر على أحدهما، فلا يقل: «صلى الله عليه» فقط، ولا «عليه السلام» فقط.

وقد نقل هذا عنه ابن كثير في ختام تفسيره آية الأحزاب من كتاب التفسير، ثم قال ابن كثير: وهذا الذي قاله منتزع من هذه الآية الكريمة وهي: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾، فالأولى أن يقال: «صلى الله وعليه تسليمًا».

وقال الفيروز آبادي في كتاب (الصِّلات والبُشر): ولا ينبغي أن تُرمز للصلاة كما يفعله بعض الكسالى والجهلة وعوام الطلبة، فيكتبون صورة «صلعم» بدلاً من صلى الله عليه وسلم.

الفوائد والثمرات الحاصلة بالصلاة على النبي ﷺ:

١ ـ امتثال أمر الله ـ سبحانه وتعالى ـ وموافقته سبحانه في الصلاة عليه ﷺ وموافقة ملائكته فيها.

٢ ـ حصول عشر صلوات من الله ـ عَزَّ وجَلَّ ـ على المصلي بالصلاة مرة واحدة على النبي ﷺ.

٣ ـ أنها سبب لشفاعته ﷺ إذا قرنها بسؤال الوسيلة أو أفردها.

٤ ـ أنها سبب لكفاية العبد ما أهمه.

٥ ـ أنها ترمي بصاحبها على طريق الجنة وتخطئ بتاركها عن طريقها.

٦ ـ أنها سبب لإبقاء الله ـ سبحانه و تعالى ـ الثناء الحسن والبركة للمصلي؛ لأن المصلي طالب من الله أن يثني على رسوله ويكرمه ويشرفه ويبارك عليه وعلى آله، وهذا الدعاء مستجاب، فلابد أن يحصل للمصلي نوع من ذلك، والجزاء من جنس العمل.

٧ ـ أنها سبب لدوام محبة العبد لرسول الله ﷺ وزيادتها وتضاعفها، وذلك عقد من عقود الإيمان الذي لا يتم إلا به، وهي سبب أيضًا لزيادة محبته ﷺ للمسلم وعرض اسم المصلي عليه ﷺ .. وكفى بالعبد نبلاً أن يذكر اسمه بين يدي رسول الله ﷺ.

٨ ـ أن العبد يرفع بصلاته على النبي ﷺ عشر درجات ويكتب له عشر حسنات ويمحى عنه عشر سيئات.

٩ ـ أنها سبب لقرب العبد منه ﷺ يوم القيامة.

١٠ ـ أنها سبب لرد النبي ﷺ على المصلي والسلام عليه.

١١ ـ أنها سبب لنفي الفقر.

١٢ ـ أنها تنفي عن العبد اسم البخل إذا صلى عليه عند ذكره ﷺ.

١٣ ـ نجاته من الدعاء عليه برغم الأنف إذا تركها عند ذكره ﷺ.

١٤ ـ أنها سبب لتمام الكلام الذي ابتدئ بحمد الله والصلاة على رسوله.

١٥ ـ أنه يخرج بها العبد عن الجفاء.

١٦ ـ أنها سبب للبركة في ذات المصلي وعمره وأهله وعلمه وأسباب مصالحه؛ لأن المصلي داع ربه أن يبارك عليه ﷺ وعلى آله، وهذا الدعاء مستجاب، والجزاء من جنس العمل.

١٧ ـ أنها سبب لنيل رحمة الله له؛ لأن الرحمة إما معنى الصلاة كما قاله طائفة، وإما من لوازمها وموجباتها على القول الصحيح، فلابد للمصلي عليه ﷺ من رحمة تناله.

١٨ ـ أنها سبب لهداية العبد وحياة قلبه، فإنه كلما أكثر الصلاة عليه وذكره استولت محبته على قلبه حتى لا يبقى في قلبه معارضة لشيء من أوامره.

١٩ ـ أنها سبب لتثبت القدم على الصراط والمرور عليه؛ لحديث عبد الرحمن بن سمرة الذي رواه عنه سعيد بن المسيب في رؤيا النبي ﷺ: «**ورأيت رجلاً من أمتي يزحف على الصراط ويحبو أحيانًا ويتعلق أحيانًا، فجاءته صلاته عليَّ فأقامته على قدميه وأنقذته**» رواه أبو موسى المديني وبنى عليه كتابه في الترغيب والترهيب، وقال هذا حديث حسن جدًا[1].

---

(١) ذكره ابن القيم في «جلاء الأفهام» (ص٢٥٢).

٢٠ ـ أن الصلاة عليه ﷺ أداء لأقل القليل من حقه وشكره له على نعمته التي أعم الله بها علينا، مع أن الذي يستحقه من ذلك لا يحصي علمًا ولا قدرة ولا إرادة، ولكن الله سبحانه لكرمه رضي من عباده باليسير من شكره وأداء حقه.

٢١ ـ أنها متضمنة لذكر الله وشكره ومعرفة إنعامه على عبيده بإرساله، فالمصلي عليه ﷺ قد تضمنت صلاته عليه ذكر الله وذكر رسوله وسؤاله أن يجزيه بصلاته ما هو أهله.

٢٢ ـ أنها من محاب الله تعالى ومحاب رسوله ﷺ، فيكون بالصلاة على النبي ﷺ قد آثر محاب الله ومحاب رسوله على طلبه ورجائه، وآثر الله بتنفيذ أمره على غيره، فيكون الجزاء من جنس العمل في آثر الله على غيره آثره الله على غيره.

٢٣ ـ أنها سبب لطيب المجلس وأن لا يعود حسرة على أهله يوم القيامة.

مواطن الصلاة على النبي ﷺ:

الموطن الأول ـ في الصلاة في آخر التشهد: وهو أهمها وأكدها، وقد أجمع المسلمون على مشروعيته، واختلفوا في وجوبه فيها.

الموطن الثاني ـ صلاة الجنازة بعد التكبيرة الثانية: عن الزهري قال: سمعت أبا أمامة بن سهل بن حنيف يحدث سعيد بن المسيب قال: **«إن السنة في صلاة الجنازة أن يقرأ بفاتحة الكتاب ويصلي على النبي ﷺ ثم يخلص الدعاء للميت ولا يقرأ إلا مرة واحدة ثم يسلم في نفسه»**.

الموطن الثالث ـ عند ذكره ﷺ: وقد اُختلف في وجوبها كلما ذكر اسمه ﷺ، فقال الطحاوي والحليمي: تجب الصلاة عليه ﷺ كلما ذكر اسمه،

OBEIKAN.COM

وقال غيرهما: ذلك مستحب وليس بفرض يأثم تاركه.

الموطن الرابع ـ عقب سماع الأذان؛ لقوله ﷺ: «إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول، ثم صلوا عليَّ، فإنه من صلى عليَّ صلاة صلى الله عليه بها عشراً، ثم سلوا الله لي الوسيلة، فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله، وأرجوا أن أكون أنا هو، فمن سأل لي الوسيلة حلت له الشفاعة»[(١)].

الموطن الخامس ـ عند دخول المسجد والخروج منه: قال ﷺ: «إذا دخل أحدكم المسجد فليسلم على النبي ﷺ ثم ليقل: اللهم افتح لي أبواب رحمتك، وإذا خرج فليقل: اللهم إني أسألك من فضلك»[(٢)].

الموطن السادس ـ عند الدعاء: لحديث فضالة بن عبيد صاحب رسول الله ﷺ قال: سمع رسول الله ﷺ رجلاً يدعوا في صلاته لم يمجد الله ولم يصل على النبي ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «عجل هذا»، ثم دعاه فقال له ولغيره: **«إذا صلى أحدكم فليبدأ بتحميد الله والثناء عليه ثم يصلي على النبي ﷺ ثم يدعو بع بما شاء»**[(٣)].

الموطن السابع ـ الصلاة عليه ﷺ يوم الجمعة: لحديث أوس بن أوس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة، فيه خُلق آدم وفيه قُبض، وفي النفخة وفيه الصعقة، فأكثروا عليَّ من الصلاة، فإن صلاتكم معروضة عليَّ»**، قالوا: يا رسول الله، وكيف تعرض صلاتنا عليك وقد أَرِمْت؟ (يقولون: بُليت)، قال: **«إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء»**[(٤)].

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم (٣٤٨)، وأبو داود (٥٢٣)، والترمذي (٣٦١٤).

(٢) صحيح: أخرجه مسلم (٧١٣)، وأبو داود (٤٦٥)، والدارمي (١/ ٢٦٤).

(٣) «صحيح الجامع» (٦٤٨)، «صحيح أبي داود» (١٣٣١).

(٤) سبق تخريجه.

الموطن الثامن ـ آخر القنوت: عن الحسن بن علي قال: علمني رسول الله ﷺ هؤلاء الكلمات في الوتر، قال: «قل: اللهم اهدني فيمن هديت، وبارك لي فيما أعطيت، وتولني فيمن توليت، وقني شر ما قضيت، فإنك تقضي ولا يقضى عليك، إنه لايذل من واليت، تباركت ربنا وتعاليت، وصلي الله على النبي»[(١)].

الموطن التاسع ـ في الخطب: كخطبة الجمعة والعيدين والاستسقاء وغيرها، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «كل خطبة ليس فيها تشهد فهي كاليد الجذماء»[(٢)]، أي المقطوعة.

وعن شيبان عن قتادة في معنى قوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ (الشرح: ٤)، فقال: رفع الله ذكره في الدنيا والآخرة، فليس خطيب ولا متشهد ولا صاحب صلاة إلا ابتدأها أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمد رسول الله. وعن الضحاك قال: «إذا ذكرت ذكرت معي ولا يجوز خطبة ولا نكاح إلا بذكرك».

الموطن العاشر ـ عند اجتماع القوم قبل تفرقهم: عن النبي ﷺ قال: «ما جلس قومًا مجلسًا ثم تفرقوا ولم يذكروا الله ولم يصلوا على النبي ﷺ إلا كان عليهم من الله ترة»[(٣)].

الموطن الحادي عشر ـ عند الهم والشدائد وطلب المغفرة: كما في حديث كعب: «إذن تكف همك ويغفر لك ذنبك».

الموطن الثاني عشر ـ عند كتابة اسم النبي ﷺ.

---

(١) صحيح: أخرجه أبو داود (١٤٢٥)، والترمذي (٤٦٤)، وابن ماجة (١١٧٨)، وأحمد (١/ ١٩٩-٢٠٠).
(٢) صحيح: أخرجه أبو داود (٤٨٤١)، والترمذي (١١٠٦)، وذكره الشيخ الألباني في «الصحيحة» (١٦٩)
(٣) سبق تخريجه.

ذمّ من لم يصلّ على النبي ﷺ :

قد عدها الحافظ ابن حجر الهيثمي في كتابه (الزواجر) من الكبائر، فقال: الكبيرة الستون: ترك الصلاة على النبي ﷺ عند سماع ذكره. ثم سرد الأحاديث، منها:

في الجامع برمز الحاكم وصححه عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه ﷺ قال: «**ايما قوم جلسوا فأطالوا الجلوس ثم تفرقوا قبل أن يذكروا الله تعالى ويصلوا على نبيه؛ كانت عليه ترة من الله، إن شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم**»[(١)]. وفيه: «**البخيل من ذُكرت عنده فلم يصل عليّ**»[(٢)]. قال الشوكاني: قال الفاكهاني: هذا أقبح بخل وشح، لم يبق بعده إلا الشح بكلمة الشهادة.

وفي الحديث دليل على وجوب الصلاة على النبي ﷺ عند ذكره. وفي الجامع برمز الترمذي والحاكم عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه ﷺ قال: «**رغم انف رجل ذكرت عنده فلم يصل عليّ، ورغم انف رجل ادرك ابويه عنده الكبر فلم يدخلاه الجنة، ورغم انف رجل دخل عليه رمضان ثم انسلخ قبل ان يغفر له**».

وفيه برمز الطبراني عن الحسين عنه ﷺ قال: «**من ذكرت عنده فلم يصلي عليّ خطئ طريق الجنة**»[(٣)].

وفيه عن ابن عباس: «**من نسي** ـ أي ترك ـ **الصلاة عليّ خطئ طريق الجنة**»[(٤)]. أي فلم يبق له إلا طريق النار.

وفي (الزواجر) عن أبي عاصم عنه ﷺ: «**الا اخبركم بأبخل الناس؟**»، قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «**من ذكرت عنده فلم يصل عليّ، فذلك أبخل**

---

(١)، (٢)، (٣)، (٤) سبق تخريجهم.

الناس». ثم قال: «عُدَّ هذا» ـ يعني من الكبائر ـ[١]. هو صريح هذه الأحاديث؛ لأنه ﷺ ذكر وعيداً شديداً كدخول النار وتكرار الدعاء من جبريل والنبي ﷺ بالبعد والسحق، ومن النبي ﷺ بالذل والهوان والوصف بالبخل، بل بكونه أبخل الناس، وهذا كله وعيد شديد جداً، فاقتضى أن ذلك كبيرة ـ والله أعلم ـ.

الأصل الرابع

معرفة النبي ﷺ

أولاً: معرفة النبي ﷺ خلقاً:

وصف النبي ﷺ كأنك تراه:

✿ جمال النبي ﷺ:

عن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: **«رأيت رسول الله ﷺ في ليلة أضحيان، فجعلت أنظر إلى رسول الله ﷺ وإلى القمر، وعليه حلة حمراء، فإذا هو عندي أحسن من القمر»**[٢]. (أضحيان: مضيئة مقمرة).

عن البراء رضي الله عنه: **«كان رسول الله ﷺ أحسن الناس وجهاً وأحسنهم خلقاً»**[٣].

عن سماك أنه سمع جابر بن سمرة قال له رجل: أكان رسول الله ﷺ وجهه مثل السيف، قال جابر: **«لا، بل مثل الشمس والقمر مستديراً»**[٤].

عن عبد الله بن كعب بن مالك، وكان قائد كعب بن مالك من بنيه حين

---

(١) أخرجه الحارث في مسنده من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه كما في «كنز العمال» (١/ ٤٨٩).
(٢) أخرجه الترمذي في «الشمائل» (١٠).
(٣) متفق عليه: البخاري (٣٥٤٩)، ومسلم (٢٣٣٧).
(٤) صحيح: أخرجه مسلم (٢٣٤٤).

OBEIKAN.COM

عَمِي قال: سمعت كعب بن مالك يقول: «لما سلمت على رسول الله ﷺ وهو يبرق وجهه، وكان رسول الله ﷺ إذا سُرَّ استنار وجهه كأنه قطعة قمر، وكنا نعرف ذلك منه»[(١)].

عن أبي عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر قال: قلت للرُبيع بنت معوذ: صفي لي رسول الله ﷺ؟ قالت: «لو رأيته لقلت الشمس طالعة»[(٢)].

وفي صحيح مسلم: «كان رسول الله ﷺ أبيض مليح الوجه»[(٣)].

وما أحسن من قال في وصف الرسول ﷺ:

وأبيض يستسقي الغمام بوجهه ... ثمال اليتامى عصمة للأرامل

وعن أبي هريرة رضي الله عنه ما رأيت شيئًا أحسن من النبي ﷺ كأن الشمس تجري في وجهه.

● لون النبي ﷺ:

عن أنس بن مالك وهو يصف رسول الله ﷺ قال: «كان أزهر ليس بالآدم ولا الأبيض الأمهق»[(٤)].

عن أبي الطفيل: «كان أبيض مليحًا مقصدًا»[(٥)].

عن نافع بن جبير قال: وصف لنا عليٌّ رضي الله عنه النبي ﷺ فقال: «كان

---

(١) متفق عليه: البخاري (٣٥٥٦)، ومسلم (٢٧٦٩).

(٢) «مجمع الزوائد» (٨/ ٢٨٠)، وعزاه للطبراني في «الكبير» و«الأوسط».

(٣) صحيح مسلم (٢٣٤٠).

(٤) صحيح: أخرجه البخاري (٣٥٤٧)، ومسلم (٢٣٣٨-٢٣٤١).

(٥) صحيح: أخرجه مسلم (٢٣٤٠)، وأبو داود (٤٨٦٤)، وأحمد (٥/ ٤٥٤). والمقصد من الرجال ليس بحسيم ولا طويل.

OBEIKAN.COM

أبيض مشرب الحمرة»[١].

عن مُحرش الكعبي قال: «اعتمر رسول الله ﷺ من الجعرانة ليلاً، فنظرت إلى ظهره كأنه سبيكة فضة»[٢].

❁ رأس النبي ﷺ:

عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: «كان رسول الله ﷺ ضخم الرأس»[٣].

❁ وجه النبي ﷺ:

عن علي رضي الله عنه إذا وصف النبي ﷺ قال: «كان في وجهه تدوير»[٤].

❁ جبين النبي ﷺ:

عن سعيد بن المسيب أنه سمع أبا هريرة رضي الله عنه يصف رسول الله ﷺ فقال: «كان مخاض الجبين»[٥].

عن الحسن بن علي عن خاله قال: «كان رسول الله ﷺ واسع الجبين»[٦].

❁ حاجب النبي ﷺ:

عن الحسن بن علي عن خاله قال: «كان رسول الله ﷺ أزج الحواجب سوابغ في غير قرن»[٧].

---

(١) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق»، ونقله السيوطي في «الخصائص الكبرى»، ورواه البيهقي في «الدلائل» (١/ ٢٠٦).

(٢) أخرجه النسائي (٢٨٦٣)، وأحمد (٣/ ٤٢٦)، (٤/ ٦٩)، والبيهقي في «الدلائل» (١/ ٢٠٧).

(٣) أخرجه الترمذي (٣٦٣٥)، وقال: هذا حديث حسن صحيح، والبيهقي في «الدلائل» (١/ ٢١٦).

(٤) أخرجه الترمذي في «الشمائل» (٧).

(٥) «تهذيب تاريخ دمشق» لابن عساكر (١/ ٣٣٦)، و«الدلائل» (١/ ٢١٤).

(٦) «شمائل الترمذي» (٨)، و«الدلائل» للبيهقي (١/ ٢٨٥).

(٧) «شمائل الترمذي» (٨)، و«الدلائل» للبيهقي (١/ ٢٨٥). ، ومعنى «سوابغ في غير قرن»: أي أنها طويلة لكنها غير متصلة ببعضها.

OBEIKAN.COM

عن علي رضي الله عنه قال: «كان رسول الله ﷺ أغر أبلج»[١].

❁ حاجب النبي ﷺ:

عن جابر بن سمرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «كنت إذا نظرت إليه قلت أكحل العينين وليس بأكحل»[٢].

وعن محمد بن علي عن أبيه قال: «كان رسول الله ﷺ عظيم العينين، أهدب الأشفار، مشرب العين بحمرة»[٣].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه كان ينعت النبي ﷺ قال: «كان أهدب أشفار العينين»[٤].

وعن علي رضي الله عنه قال: «كان أسود الحدقة أهدب الأشفار أدعج العينين»[٥].

❁ سمع النبي ﷺ:

قال أبو هريرة رضي الله عنه: «كان رسول الله ﷺ تام الأذنين»[٦].

❁ أنف النبي ﷺ:

عن الحسن بن علي عن خاله قال: «كان رسول الله ﷺ أقنى العرنين»[٧].

❁ فم النبي ﷺ:

عن الحسن بن علي عن خاله قال: «كان رسول الله ﷺ ضليع الفم أشنب»[٨].

---

(١) «سير أعلام النبلاء» (١/ ٥١٢).

(٢) أخرجه الترمذي (٣٦٤٥)، وأحمد (٥/ ٩٧، ١٠٥).

(٣) «سير أعلام النبلاء» (١/ ٥١١)، و«الدلائل» للبيهقي (١/ ٢١٢).

(٤) «الدلائل» للبيهقي (١/ ٢١٣).

(٥) «الدلائل» للبيهقي (١/ ٢١٣).

(٦) رواه ابن سعد في «الطبقات».

(٧) أخرجه الترمذي في «الشمائل» (٨)، والبيهقي في «الدلائل» (١/ ٢٨٥).

(٨) انظر السابق.

OBEIKAN.COM

❁ أسنان النبي ﷺ:

قال هند بن أبي هالة: «كان رسول الله ﷺ مفلج الأسنان»[١].

❁ عنق النبي ﷺ:

عن هند بن أبي هالة: «كان عنقه جيدُ دمية في صفاء الفضة»[٢].

وعن أم معبد الخزاعية: «في عنقه سطعَ»[٣].

❁ منكبي النبي ﷺ:

عن البراء رضي الله عنه قال: «كان رسول الله ﷺ مربوعًا بعيد ما بين المنكبين»[٤].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه: «كان رسول الله ﷺ عظيم مشاش المنكبين»[٥].

❁ صدر النبي ﷺ:

عن هند بن أبي هالة قال: «كان رسول الله ﷺ سواء البطن والصدر عريض الصدر»[٦].

❁ بطن النبي ﷺ:

قالت أم معبد: «لم تعبه ثجلة»[٧]. الثجلة: هي كبر البطن.

❁ ذراعي النبي ﷺ:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «كان رسول الله شبح الذراعين»[٨].

---

(١) انظر ما قبلهما.

(٢) انظر ما قبله.

(٣) رواه الطبراني والحاكم في «المستدرك» (٣/ ١٠)، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٤) صحيح: أخرجه البخاري (٣٥٥١)، ومسلم (٢٣٣٧).

(٥) أخرجه البيهقي في «الدلائل» (١/ ٢٤١).

(٦) سبق تخريجه.

(٧) رواه الحاكم في «المستدرك» (٣/ ١٠)، وقال: صحيح الإسناد.

(٨) أخرجه الإمام أحمد (٢/ ٣٢٨، ٤٤٨)، و«شبح الذراعين»: أي عريض الذراعين.

OBEIKAN.COM

❁ كفي النبي ﷺ:

كان رسول الله ﷺ بسط الكفين[١].

وعن أنس رضي الله عنه قال: «كان شثن الكفين»[٢]. وعنه: «كان ضخم اليدين»[٣].

❁ شعر النبي ﷺ:

عن أنس رضي الله عنه قال: «كان شعرًا رَجِلا، ليس بالجعد ولا بالسبط، بين أذنيه وعاتقه»[٤].

وعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: «يبلغ شعره شحمة أذنيه»[٥].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان شعر النبي ﷺ فوق الوفرة ودون الجمة»[٦].

❁ طيب رائحة النبي ﷺ:

عن أنس رضي الله عنه قال: «ولا شممت ريحًا قط أطيب من ريح رسول الله ﷺ»[٧].

وعن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: «صليت مع رسول الله ﷺ صلاة الأولى ثم رجع إلى أهله فاستقبله ولدان، فجعل يمسح خدي أحدهم واحداً واحداً. قال: وأما أنا فمسح خدي. قال: فوجدت ليده برداً وريحًا كأنما أخرجها من جؤنة عطار»[٨].

---

(١) متفق عليه: البخاري (٥٩٠٧)، ومسلم (٢٣٣٨).

(٢) متفق عليه: البخاري (٥٩١٠)، ومسلم (٢٣٣٨، ٢٣٤١). «شثن الكفين»: هو في أنامه غلظ بلا قصر، وهو يحمد في الرجال؛ لأنه أشد لقبضتهم.

(٣) متفق عليه: البخاري (٥٩٠٦)، ومسلم (٢٣٣٨).

(٤) متفق عليه: البخاري (٥٩٠٥)، ومسلم (٢٣٣٨).

(٥) متفق عليه: البخاري (٣٥٥١)، ومسلم (٢٣٣٧).

(٦) أخرجه أبو داود (٤١٨٧)، والترمذي (١٧٥٥)، وابن ماجة (٣٦٣٥).

(٧) متفق عليه: البخاري (٣٥٦١)، ومسلم (٢٣٣٨).

(٨) صحيح: أخرجه مسلم (٢٣٢٩).

OBEIKAN.COM

❁ عرق النبي ﷺ:

عن أنس رضي الله عنه قال: «دخل علينا النبي ﷺ فَقَال عندنا فعرق، وجاءت أمي بقارورة فجعلت تسلت العرق، فاستيقظ النبي ﷺ فقال: «يا أم سليم، ما هذا الذي تصنعين؟»، قالت: هذا عرق نجعله لطيبنا وهو أطيب الطيب»[(١)].

عن أم سليم: أن النبي ﷺ كان يأتيها فيقيل عندها، فتبسط له نِطعًا فيقيل عليه، وكان كثير العرق، فكانت تجمع عرقه فتجعله في الطيب والقوارير، فقال النبي ﷺ: «يا أم سليم، ما هذا؟»، قالت: «عرقك أدوف به طيبي»[(٢)].

وعن أنس رضي الله عنه قال: «كان رسول الله ﷺ أزهر اللون، كأن عرقه اللؤلؤ، إذا مشى تكفأ، وما مسست ديباجًا ولا حريرًا ألين من كف رسول الله ﷺ، ولا شممت مسكًا ولا عنبرًا أطيب من رائحة النبي ﷺ»[(٣)].

الأحاديث الجوامع في وصف النبي ﷺ

❁ حديث أم معبد:

الرسول ﷺ وأبو بكر، ودليلهما الليثي (عبد الله بن الأريقط) مروا على خيمتي أم معبد الخزاعية، وكانت برزة جَلدة تحتبي بفناء القبة، ثم تسقي وتطعم، فسألوها لحمًا وتمرًا ليشتروه منها، فلم يصيبوا عندها شيئًا من ذلك، وكان القوم مرملين مسنتين، فقالت: والله لو كان عندنا شيء ما أعوزناكم نحرها. فنظر رسول الله ﷺ إلى كِسر الخيمة فقال: «ما هذه الشاة يا أم

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم (٢٣٣١)، والإمام أحمد (٣/ ١٧٧، ٢٩٠).

(٢) صحيح: أخرجه مسلم (٢٣٣٢). ومعنى «أدوف» أي أخلط.

(٣) متفق عليه: البخاري (٣٥٦١)، ومسلم (٢٣٣٠).

معبد؟»، قالت: شاة خلَّفها الجهد عن الغنم، قال: «أبها من لبن؟»، قالت: هي أجهد من ذلك، قال: «أتأذنين أن أحلبها؟»، قالت: بأبي وأمي، إن رأيت بها حلبًا فاحلبها. فدعا بها رسول الله ﷺ، فمسح بيده ضرعها وسمى الله تعالى ودعا لها في شاتها، فتفاجت عليه ودرَّت واحترت، ودعا بإناء يربض الرهط، فحلب فيه ثجًا حتى علاه البهاءُ، ثم سقاها حتى رويت وسقى أصحابه حتى رووا، ثم شرب آخرهم رسول الله ﷺ، ثم أراضوا ثم حلبوا فيه ثانيًا بعد بدء حتى ملاء الإناء ثم غادره عندها، ثم بايعها وارتحل عنها.

فقل ما لبثت حتى جاءها زوجها أبو معبد يسوق أعنزًا عِجافًا يتساوكن هُزلاً ضُحًا مُخهن قليل، فلما رأى أبو معبد اللبن عجب وقال: من أين لك هذا اللبن يا أم معبد والشاء عازب حيال ولا حلوب في البيت؟ فقالت: لا والله، إلا أنه مر بنا رجل مبارك من حاله كذا وكذا، قال: صفيه لي يا أم معبد، قالت: «رأيت رجلاً ظاهر الوضاءة، أبلج الوجه، حسن الخلقِ، لم تعبه نُحلة، ولم تُزر به صَحلة، وسيم قسيم في عينه دعج، وفي أشفاره غطف، وفي صوته صهل، وفي عنقه سطع، وفي لحيته كثاثة، أزج أقرن، إن صم فعليه الوقار، وإن تكلم سماه وعلاه البهاء، أجمل الناس وأبهاه من بعيد، وأحلاه وأحسنه من قريب، حلو المنطق، فصل لا نزر ولا هزر، كأن منطقه خرزات نظم ينحدرن ربعة، لا يأس من طول ولا تقتحمه عين من قصر»[1].

- برزة: أي خلا لها سن، فهي تبرز فليس بمنزلةالصغيرة المحجوبة.
- مرملين: يريد قد نفد زادهم.
- مسنتين: أي داخلين في السنة، وهي الجدب والمجاعة.
- كسر الخيمة: أي جانبها.

---

(١) حديث أم معبد: رواه البيهقي في «الدلائل» (١/ ٢٧٦)، والحاكم في «المستدرك» (٣/ ١٠)، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، واستدل على صحته وصدق رواته بدلائل، ليس هذا محل بسطها.

- فتفاجت: فتحت ما بين رجليها للحلب.
- دعا بإناء يربض الرهط: أي يرويهم حتى يثقلوا.
- ثجا: سيلا.
- علاه البهاء: بهاء اللبن وهو وبيص رغوته، يريد أنه ملأها.
- فشربوا حتى أراضوا: يريد شربوا حتى رووا فنقعوا بالري.
- تشاركن الهزال: أي عمهن الهزال.
- الشاء عازب: أي بعيد في المرعى.
- ظاهر الوضاءة: ظاهر الجمال.
- أبلج الوجه: مشرق الوجه مضيئه.
- لم تعبه نحلة: تحول الجسم.
- لم تزريه صُقلة: تريد ليس بناحل ولا منتفخ، ويُروى: «لم تعبه ثجلة ولم تزريه صعلة»، والثجلة عظم البطن، واسترخاء أسفله، الصعلة صغر الرأس.
- وسيم قسيم: حسن وضيء.
- في عينيه دعج: سواد.
- وفي أشفاره غطف: طويل شعر العين.
- وفي صوته صهل: بحة وحسن.
- وفي عنقه سطع: طول.
- وفي لحيته كثاثة: كثرة الشعر.
- أزج أقرن: حاجباه طويلان ومقوسان.
- لا نزر ولا هزر: كلامه بين وسط، ليس بالقليل ولا بالكثير.
- لا يأس من طول ولا تقتحمه عين من قصر: ليس بالطويل البائس ولا بالقصير.

OBEIKAN.COM

«غصناً بين غصنين فهو أنضر الثلاثة منظراً وأحسنهم قدراً، له رفقاء يحفون به، إن قال أنصتوا لقوله، وإن أمر تبادروا أمره، محفود محشود لا عابس ولا مُفند». فقال أبو معبد: هو والله صاحب قريش الذي ذكر لنا من أمره ما ذُكر بمكة، ولقد هممت أن أصحبه، ولأفعلن إن وجدت إلى ذلك سبيلاً، فأصبح صوت بمكة عالياً يسمعون الصوت ولا يدرون صاحبه، وهو يقول:

جزى الله رب الناس خير جزائه ◆◆ رفيقين قالا خيمتي أم معبد
هما نزلاها بالهدى واهتدت به ◆◆ فقد فاز من أمسى رفيق محمد
فيا لقصي ما زوى الله عنكم ◆◆ به من فعال لا تُجارى وسؤدد
ليهن بني كعب مقام فتاتهم ◆◆ ومقعدها للمؤمنين لمرصد
سلوا أختكم عن شاتها وإنائها ◆◆ فإنكم إن تسألوا الشاة تشهد
وعاها بشاة حائل فتحلبت ◆◆ له بصريح ضرَّةُ الشاة مزيد
فغادرها رهناً لديها بحالب ◆◆ يرددها في مصدر ثم مورد

فلما سمع حسان بن ثابت شاعر رسول الله ﷺ شبب يجاوب الهاتف:

لقد خاب قوم زل عنهم نبيهم ◆◆ وقُدس من يسري إليهم ويفتدى
ترحل عن قوم فضلّت عقولهم ◆◆ وحل على قوم بنور مجدد
هداهم بعد الضلالة ربهم ◆◆ وأرشدهم من يتبع الحق يرشُد
وهل يستوي ضُلاَّلُ قوم تَسفَّهوا ◆◆ عمىً وهداةُ يهتدون بمهتد
وقد نزلت منه على أهل يثرب ◆◆ ركاب هدى حلت عليهم بأسعد
نبيُ يرى ما لا يرى الناس حوله ◆◆ ويتلو كتاب الله في كل مسجد
وإن قال في يوم مقالة غائب ◆◆ متصديقها في اليوم أو في ضحى الغد
ليهن أبا بكر سعادة حَدةٌ ◆◆ بصحبته من يُسعد الله يسعد
ليهن بني كعب مقام فتاتهم ◆◆ ومقعدها للمؤمنين بمرصد

❁ محفود محشود: عنده جماعة من أصحابه يطيعونه.

❁ لا عابس ولا مفند: غير عابس الوجه، وكلامه خال من الخرافة.

OBEIKAN.COM

حديث علي رضي الله عنه في وصف النبي ﷺ:

قال: «لم يكن رسول الله ﷺ بالطويل الممغط ولا بالقصير المتردد، وكان ربعة من القوم، لم يكن بالجعد القطط ولا بالسبط، كان جعداً رجلا، ولم يكن بالمطهم ولا بالمكلثم، وكان في وجهه تدوير، أبيض مُشرب، أدعج العينين، أهدب الأشفار، جليل المُشاش، والكتد أجرد، ذو مسربة شثن الكفين والقدمين، إذا مشى تقلع كأنما ينحط في صبب، وإذا التفت التفت معًا بين كتفيه خاتم النبوة، وهو خاتم النبيين، أجود الناس صدراً وأصدق الناس لهجة وألينهم عريكة وأكرمهم عشيرة، من رآه بديهة هابه، ومن خالطه معرفة أحبه، يقول ناعته: لم أرَ قبله ولا بعده مثله»[1].

- الممغط: الذاهب طولاً.
- المتردد: الداخل بعضه في بعض قصرًا.
- القطط: الشديد الجعودة.
- الرَجل: الذي في شعره حجونه، أي تثن قليل.
- المطهم: البادن الكثير اللحم.
- المكلثم: المدور الوجه.
- المشرب: الذي في بياضه حمرة.
- الأهدب: الطويل الأشفار.
- الكتد: مجتمع الكتفين وهو الكاهل.
- المسربة: هو الشعر الدقيق الذي كأنه قضيب من الصدر إلى السرة.

---

(١) أخرجه الترمذي في «الشمائل» (٧)، وفي «السنن» (٣٦٥٨)، وأحمد في «المسند» (١/ ٩٤٤)، وابن حبان في «صحيحه» (٦٢٨٦).

OBEIKAN.COM

- الشثن: الغليظ الأصابع من الكفين والقدمين.
- التقلع: أي يمشي بقوة.
- الصبب: الحدور، تقول: انحدرنا في صبوب وصيب.
- جليل المشاش: رؤوس الأصابع.
- الشعير: الصاحب.

حديث هند بن أبي هالــة:

قال: «كان رسول الله ﷺ فخمًا مفخمًا، يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر، أطول من المربوع، وأقصر من المشذب، عظيم الهامة، رَجِل الشعر، إن انفرقت عقيقته فرق، وإلا فلا يجاوز شعره شحمة أذنيه، إذا هو وفَّره أزهر اللون واسع الجبين، أزج الحواجب سوابغ من غير قرن، بينهما عرق يَدِرُّه الغضب، أقنى العرنين، له نور يعلوه، يحسبه من لم يتأمله أشم، كث اللحية سهل الخدين، ضليع الفم مفلج الأسنان، دقيق المسربة، كأن عنقه جيد دمية في صفاء الفضة، معتدل الخلق بادن متماسك، سواء البطن والصدر عريض الصدر، بعيد ما بين المنكبين، ضخم الكراديس، أنور المتجرد موصول ما بين اللبة والسرة بشعر يجري كالخط، عاري الثديين والبطن مما سوى ذلك، أشعر الذراعين والمنكبين وأعالي الصدر، طويل الزندين، رحب الراحة شثن الكفين والقدمين، سائل الأطراف - أو قال: شائل الأطراف -، خمصان الأخمصين، مسيح القدمين ينبو عنهما الماء، إذا زال زال قلعًا، يخطو تكفيًا ويمشي هونًا، ذريع المشية إذا مشى كأنما ينحط من صبب، وإذا التفت التفت جميعًا خافض الطرف، نظره إلى الأرض أكثر من نظره إلى السماء، جُل نظره الملاحظة، يسوق أصحابه ويبدأ من لقي بالسلام»[1].

---

(١) أخرجه الترمذي في «الشمائل» (٨)، والبيهقي في «الدلائل» (١/ ٢٨٥).

- فخمًا مفخمًا: أي عظيمًا معظمًا.
- المشذب: الطويل البائن.
- سوابغ في غير قرن: وصف الحواجب بأنها طويلة ولكنها غير ملتقية ببعضها. وهذا خلاف ما وصفته به أم معبد، وكانت العرب تعيب القرن وتحب البلج، وهو أن ينقطع الحاجبان فيكون ما بينهما نقيًا.
- أقنى العرنين: طوله ودقة أرنبته وحدب في وسطه.
- يحسبه من لم يتأمله أشم: الشمم إرتفاع القصبة وحسنها واستواء أعلاها.
- المسربة: الشعر المستدق ما بين اللبة إلى السرة.
- بادن متماسك: يريد أنه مع بدانته متماسك اللحم.
- سواء البطن والصدر: يريد أن بطنه غير مستفيض، فهو مساوٍ لصدره.
- الكراديس: الأعضاء.
- أنور المتجرد: يريد به شدة البياض.
- طويل الزندين: الزند ما انحسر عنه اللحم، وللزند رأسان الكوع والكرسوع، فالكرسوع هو رأس الزند الذي يلي الخنصر، والكوع رأس الزند الذي يلي الإبهام.
- رحب الراحة: يريد واسع الراحة، فكانت العرب تحمد ذلك وتمدح به.
- شثن الكفين والقدمين: يريد أنها إلى الغلظ والقصر.
- سائل الأطراف.
- خمصان الأخمصين: الإخمص في القدم من تحتها وهو ما ارتفع عن الأرض في وسطها، أراد أن ذلك منه مرتفع وأنه ليس بأزج، وهو الذي يستوي باطن قدمه حتى يمس جميعه الأرض.

OBEIKAN.COM

- مسيح القدمين: أي ممسوح ظاهر القدمين.
- يخطو تكفيًا ويمشي هونًا: يريد أنه يميد إذا خطا ويمشي في رفق غير مختال.
- ذريع المشية: سريع المشية.
- إذا مشى كأنما ينحط من صبب: الصبب الانحدار.
- يسوق أصحابه: إذا مشى مع أصحابه قدمهم بين يديه ومشى وراءهم.

ثانيـــاً: معرفة النبي ﷺ خُلُقًا:

قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ (آل عمران: ١٥٩).

يقول شيخنا أبي عبد الله مصطفى العدوي ـ حفظه الله ـ: «المعنى: فبرحمة الله ـ عَزَّ وجَلَّ ـ عليك وعلى أصحابك ورأفته بك وبهم جعلك الله لينًا سهلاً لأصحابك، فأصبحت تتحمل أذاهم وتعفو عنهم إذا قصروا في حقك وتتغاضى عن ذي الجرم منهم إذا أجرم في حقك، كل هذا من فضل الله عليك وعليهم، إذ سهل لهم أخلاقك وحسنها لك ولهم»[(١)].

أليس من أوجب الواجبات وأهم المهمات الاقتداء بأخلاقه الكريمة، فقد وصف ﷺ بكل خُلق عظيم، قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم: ٤)، وحاصل خلقه العظيم ما فسرته به أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها لمن سألها عنه فقالت: «كان خُلقه القرآن»[(٢)]. يغضب لغضبه ويرضى لرضاه، فمهما أمره القرآن فعله

---

(١) «التسهيل في تأويل التنزيل» سورة آل عمران (ص٤٢٤).

(٢) صحيح: أخرجه مسلم (٧٤٦)، وأبو داود (١٣٤٢)، وابن ماجة (٢٣٣٣).

ومهما نهاه تركه، فكان سهلاً لينًا قريبًا من الناس، مجيبًا لدعوة من دعاه، قاضيًا لحاجة من استقضاه، جابرًا لقلب من سأله لا يحرمه ولا يرده خائبًا، وإذا أراد أصحابه منه أمرًا وافقهم عليه وتابعهم فيه إذا لم يكن فيه محذور، وإذا عزم على أمر لم يستبد به دونهم، بل يشاورهم ويؤامرهم، وكان يقبل من محسنهم ويعفو عن مسيئهم، ولم يكن يعاشر جليسًا إلا أتم عِشرة وأحسنها، فكان لا يعبس في وجهه ولا يغلظ عليه في مقاله ولا يطوي عنه شره، ولا يمسك عليه فلتات لسانه ولا يؤاخذه بما يصدر منه من جفوة، بل يحسن إليه غاية الإحسان ويحتمله غاية الاحتمال.

هذا ما جبله الله عليه من الخلق العظيم من الحياء والكرم والشجاعة والصفح والحلم، وكل خُلق جميل كما ثبت في الصحيحين عن أنس رضي الله عنه قال: «**خدمت رسول الله عشر سنين، فما قال لي: أفّ قط ولا قال لشي فعلته: لم فعلته؟ ولا لشيء لم افعله: ألا فعلته؟، وكان رسول الله ﷺ احسن الناس خلقًا، ولا ممست خزًا ولا حريرًا ولا شيئًا كان الين من كف رسول الله ﷺ، ولا شممت مسكًا ولا عطرًا كان اطيب من عرق رسول الله ﷺ**»[(١)].

✿ وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «**ما ضرب رسول الله ﷺ بيده خادمًا قط ولا امرأة، ولا ضرب بيده شيئًا قط إلا أن يجاهد في سبيل الله، ولا خُير بين شيئين قط إلا كان أحبهما إليه أيسرهما حتى يكون إثمًا، فإذا كان إثمًا كان أبعد الناس من الإثم، ولا انتقم لنفسه من شيء يؤتى إليه إلا أن تُنتهك حرمات الله فيكون هو ينتقم لله -عَزَّ وجَلَّ-**»[(٢)].

---

(١) صحيح: البخاري (٦٠٣٨)، ومسلم (٢٣٣٠)

(٢) صحيح: أخرجه مسلم (٢٣٢٨).

OBEIKAN.COM

✪ وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن هذه الآية التي في القرآن: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ (الاحزاب:٤٥)، قال في التوراة: يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدًا ومبشرًا ونذيرًا وحرزًا للأميين، أنت عبدي ورسولي سميتك المتوكل، ليس بفظ ولا غليظ ولا سَخَّاب بالأسواق، ولا يدفع السيئة بالسيئة، ولكن يعفو ويصفح، ولن يقبضه الله ـ عَزَّ وجَلَّ ـ حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا لا إله إلا الله، فيفتح به أعينًا عميًا، وآذانًا صمًا، وقلوبًا غلفًا»[(١)].

✪ وعن أنس رضي الله عنه قال: «لم يكن رسول الله ﷺ فاحشًا ولا لعانًا ولا سبابًا، وكان يقول عند المعتبة (المعاتبة) ما له تربت يمينه، وفي رواية: ترب جبينه»[(٢)].

✪ وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قيل يا رسول الله، ادع على المشركين، قال: «إني لم ابعث لعانًا، وإنما بعثت رحمة»[(٣)].

✪ عن عمرو بن العاص قال: «كان رسول الله ﷺ يُقبل بوجهه وحديثه عليَّ حتى ظننت أني خير القوم»[(٤)].

✪ وعن أنس رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ من أحسن الناس خُلقًا، فأرسلني يومًا لحاجة، فقلت: والله لا أذهب، وفي نفسي أذهب لما أمرني به نبي الله ﷺ، فخرجت حتى أُمر على صبيان وهم يلعبون في السوق، فإذا رسول الله ﷺ قد قبض بقفاي من ورائي، قال: فنظرت إليه وهو يضحك فقال: «يا انيس، اذهب حيث أمرتك». قال: قلت: نعم، أنا أذهب يا رسول الله[(٥)].

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٤٨٣٨).
(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٦٠٤٦)، وأحمد (٣/ ١٢٦).
(٣) صحيح: أخرجه مسلم (٢٥٩٩).
(٤) الترمذي في «الشمائل» (٣٤٣).
(٥) صحيح: أخرجه مسلم (٢٣١٠).

OBEIKAN.COM

✿ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: بعث رسول الله ﷺ خيلاً قِبل نجد، فجاءت برجل من بني حنيفة يُقال له ثمامة بن أُثال سيد أهل اليمامة، فربطوه بسارية من سواري المسجد، فخرج إليه رسول الله ﷺ فقال: «ماذا عندك يا ثمامة؟»، فقال: عندي يا محمد خير، إن تقتل تقتل ذا عدم، وإن تنعم تنعم على شاكر، وإن كنت تريد المال فسل تعط منه ما شئت، فتركه رسول الله ﷺ حتى كان بعد الغد فقال: «ما عندك يا ثمامة؟»، قال: ما قلت لك، إن تنعم تنعم على شاكر، وإن تقتل تقتل ذا دم، وإن كنت تريد المال فسل تعط منه ما شئت، فتركه رسول الله ﷺ حتى كان من الغد، فقال: «ماذا عندك يا ثمامة؟»، فقال: ما قلت لك، إن تنعم تنعم على شاكر، وإن تقتل تقتل ذا دم، وإن كنت تريد المال فسل تعط منه ما شئت، فقال رسول الله ﷺ: «أطلقوا ثمامة».

فانطلق إلى نخل قريب من المسجد فاغتسل ثم دخل المسجد فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، يا محمد، والله ما كان على الأرض وجه أبغض إليَّ من وجهك، فقد أصبح وجهك أحب الوجوه كلها إليَّ، والله ما كان من دين أبغض إليَّ من دينك، فأصبح دينك أحب الدين كله إليَّ، والله ما كان من بلد أبغض إليَّ من بلدك فأصبح بلدك أحب البلاد كلها إليَّ، وإن خيلك أخذتني وأنا أريد العمرة، فماذا ترى؟ فبشره رسول الله ﷺ وأمره أن يعتمر، فلما قدم مكة قال له: قائل: أصبوت؟ فقال: «لا، ولكني أسلمت مع رسول الله ﷺ، ولا والله لا يأتيكم من اليمامة حبة حنطة حتى يأذن فيها رسول الله ﷺ»[1].

---

(١) متفق عليه: البخاري (٤٣٧٢)، ومسلم (١٧٦٤)، وأبو داود (٢٦٧٩).

ولما كانت الأخلاق الحسنة من نعم الله على العباد ترى النبي ﷺ يدعو ربه أنه يهديه لأحسن الأخلاق؛ قال ﷺ: «**اهدني لأحسن الأخلاق، لا يهدي لأحسنها إلا أنت**»[(١)].

وورد أن النبي ﷺ كان يدعو بهؤلاء: «**اللهم جنبني منكرات الأخلاق والأعمال والأهواء والأدواء**»[(٢)].

❁ وفي رواية: «**اللهم إني أعوذ بك من منكرات الأخلاق والأعمال والأهواء**»[(٣)].

وكان النبي ﷺ يدعو فيقول: «**اللهم أحسنت خَلقي، فأحسن خُلقي**»[(٤)].

فاستجاب الله دعائه فزين الله هذا الخَلق البشري بكل سمات الكمال الخُلقي في بشر زين الله هذا الخَلق بالحلم والعلم والرحمة والإنابة والتواضع والزهد والكرم والحياء والمروءة والشجاعة والرجولة والعفة والعفو والسخاء، بل وجمع له كل الصفات الحميدة في آية واحدة: ﴿**وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾ (القلم: ٤).

---

(١) مسلم (٦/٥٧) من حديث علي رضي الله عنه مرفوعًا.

(٢) أخرجه الطبراني في «الدعاء» (١٣٨٤)، وهو صحيح لشواهده.

(٣) هي عند الترمذي (٣٥٩١)، وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب، وفي الرواية المشار إليها ضعف، لكن يشهد لها ما قبلها.

(٤) أحمد في «المسند» (٦/٦٨) بإسناد صحيح عن عائشة.

OBEIKAN.COM

الأصل الخامس

مطالعة معجزات النبي ﷺ

وهي كثيرة، فقد أيد الله ـ عَزَّ وجَلَّ ـ نبيه ﷺ بالمعجزات التي يتحدى بها البشر والتي يعجزون عن الإتيان بمثلها، كما أيد أنبياءه ـ صلوات الله وسلامه عليهم ـ من قبل، وكانت كل معجزة تقع لنبي مناسبة لحال قومه، فلما كان السحر متفشيًا في قوم فرعون جاءهم موسى ﷺ بالعصا تلقف ما يأفكون. ولما كان الناس في عهد عيسى ﷺ متوسعين في أمر الطب وقد كثر فيهم الأطباء والحكماء؛ أيد الله عيسى ﷺ بمعجزة إبراء الأكمه والأبرص بإذن الله، بل وإحياء الموتى بإذن الله، والنفخ في الطير المصنوع من الطين فيكون طيراً بإذن الله. ثم آيات أُخر جاءت وفق طلب الأقوام لما سأل النبيون ـ صلوات الله وسلامه عليهم ـ ربهم ذلك، كما نزلت المائدة على عيسى ومن معه، وكما خرجت الناقة لقوم صالح ﷺ.

ولما كان العرب الذين بُعث فيهم النبي ﷺ في غاية من البلاغة؛ جاءهم القرآن بمثل ما هم عليه وتحداهم أن يأتوا بسورة من مثله، وعلى الرغم من تعدد معجزات نبينا ﷺ لكن تبقى معجزة القرآن أعظم معجزات النبي ﷺ والتي سوف نشير إلى بعضها على سبيل المثال لا الحصر.

معجزة القرآن الكريم:

قال ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (العنكبوت: ٥١).

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «ما من

الأنبياء نبي إلا أعطى من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحيًا أوحاه الله إليَّ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعًا يوم القيامة»[1]. والمعنى كما يقول شيخنا أبي عبد الله مصطفى العدوي ـ حفظه الله ـ: «المعنى والله أعلم: أن المعجزات التي أوتيها الأنبياء ـ صلوات الله وسلامه عليهم ـ كعصا موسى وناقة صالح وشفاء عيسى للموتى بإذن الله و.....و..... قد انتهت وانقرضت بانقراض أزمانهم وأعصارهم، أما معجزة القرآن فباقية مستمرة إلى يوم القيامة في خرقه للعادات وإخباره بالمغيبات وإرشاده للجنّات والخيرات وتحذيره من الشرور والبليات، فما فيه يتحقق يومًا بعد يوم، فلله الحمد رب العالمين»

فالقرآن أعظم معجزة أيد الله بها نبيه ﷺ، فأخرجنا الله به من الظلمات إلى النور، وهدانا الله به سبل السلام، وبيَّن لنا فيه كل خير يكون سببًا لدخول الجنة، فمن نالها فقد فاز الفوز العظيم، وحذرنا الله فيه من كل شر يورد النار، فمن وقع فيها فقد باء بالخزي العظيم . . فلله الحمد على هذا الكتاب القيم الذي لم يجعل له عوجًا من اتبعه لا يضل ولا يشقى، ومن أعرض عنه فإن له معيشة ضنكًا ويُحشر يوم القيامة أعمى.

قص الله لنا فيه على لسان النبي الأمي الكريم خبر من سبقنا ونبأ من بعدنا، وجلَّى لنا فيه حكم ما بيننا، تحدى الله به أهل الفصاحة والبيان من فصحاء العرب وأذكيائهم على أن يأتوا بحديث مثله أو سورة أو بعض سورة فعجزوا، قال تعالى: ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ ﴿٣٤﴾﴾ (الطور: ٣٤)، وقال تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ (البقرة: ٢٣).

---

(١) متفق عليه: البخاري (٧٢٧٤)، ومسلم (١٥٢).

فوعظنا الله به ورقق قلوبنا وشفانا به، وفتح به آذانًا صمًا وقلوبًا غلفًا وأعينًا عميًا، عرفنا بربنا الكريم الرحيم الذي له الأسماء الحسنى كلها، وله الكبرياء في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم، هدانا الله فيه لأقوم السبل من توحيده والإعرض عن الإشراك به، وحفظ الله لنا به أنفسنا، فحذر المؤمن من قتل أخيه غاية التحذير، وتوعد الكافر غياة الوعيد، قال تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ (النساء: ٩٣).

وأوجب الله على قاتل المؤمن حدًا، فقال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى﴾ (البقرة: ١٧٨)، وقال سبحانه: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (البقرة: ١٧٩)، وقال تعالى: ﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنصُورًا﴾ (الإسراء: ٣٣).

حفظ الله لنا به عقولنا، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ (المائدة: ٩٠-٩١)، وأوجب الله على شارب الخمر حدًا يناله في الدنيا وإلا ففي الآخرة أو يتجاوز الله ـ عَزَّ وجَلَّ ـ، وذلك لأسباب منها درء المفسدة عن العقل.

حفظ الله لنا به أنسابنا، فحرم الزنى، وقال سبحانه: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ (الإسراء: ٣٢)، وقال تعالى: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (النور: ٢)، وأوجب الله العدة على المطلقة المدخول بها حفظًا للأنساب كي لا تختلط، قال تعالى: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾ (البقرة: ٢٢٨).

وحفظ الله لنا به أعراضنا، قال تعالى محذرًا من اغتياب المسلم: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ (الحجرات: ١٢)، وقال سبحانه: ﴿وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ﴾ (الحجرات: ١١)،

وحفظ الله لنا به أموالنا، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ﴾ (النساء: ٢٩).

وحفظ الله لنا به أخوتنا، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ (الحجرات: ١٠).

وحثنا على جلب المصالح والضرب في الأرض وتعميرها وإصلاحها، فقال تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾ (البقرة: ١٩٨).

هذا وقد قال الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ في (فتح الباري): وقد جمع بعضهم إعجاز القرآن في أربعة أشياء:

أحدها ـ حسن تأليفه والتئام كلمه مع الإيجاز والبلاغة.

ثانيها ـ صورة سياقه وأسلوبه المخالف لأساليب كلام أهل البلاغة من العرب نظمًا ونثرًا حتى حارت فيهم عقولهم ولم يهتدوا إلى الإتيان بشيء مثله مع توافر دواعيهم على تحصيل ذلك وتقريعه لهم على العجز عنه.

ثالثها ـ ما اشتمل عليه من الإخبار عما مضى من أحوال الأمم السالفة والشرائع الدائرة، مما كان لا يعلم منه بعضه إلا النادر من أهل الكتاب.

رابعها ـ الإخبار بما سيأتي من الكوائن التي وقع بعضها في العصر النبوي وبعضها بعده.

ومن غير هذه الأربعة الروعة التي تحصل لسامعه، ومنها أن قارئه لا يمل من ترداده وسامعه لا يمجه ولا يزداد بكثرة التكرار إلا طراوة ولذاذة، ومنها أنه آية

باقية لا تعدم ما بقيت الدنيا، ومنها جمعه لعلوم ومعارف لا تنقضي عجائبها ولا تنتهي فوائدها . . فلله الحمد رب العالمين على ما وهب وأعطى.

معجزة الإسراء والمعراج :

وهي من أكبر المعجزات التي أيد الله بها نبيه محمداً ﷺ ، أخرج مسلم من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «أُتيت بالبراق» (وهو دابة أبيض طويل فوق الحمار ودون البغل، يضع حافره عند منتهى طرفه)، قال: «فركبته حتى أتيت بيت المقدس، قال: فربطته بالحلقة التي يربط بها الأنبياء، قال: ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ثم خرجت فجاءني جبريل عليه السلام بإناء من خمر وإناء من لبن اخترت اللبن، فقال جبريل: اخترت الفطرة، ثم عرج بنا إلى السماء، فاستفتح جبريل فقيل: من أنت؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه، ففتح لنا فإذا أنا بآدم فرحب بي ودعا لي بخير، ثم عرج بنا إلى السماء الثانية، فاستفتح جبريل عليه السلام، فقيل: من أنت؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه، ففتح لنا، فإذا أنا بابني الخالة عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا ـ صلوات الله عليهما ـ، فرحبا ودعوا لي بخير، ثم عرج بي إلى السماء الثالثة، فاستفتح جبريل عليه السلام فقيل: من أنت؟ قال: جبريل عليه السلام، قيل: ومن معك؟ قال: محمد ﷺ، قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه، ففتح لنا فإذا أنا بيوسف عليه السلام إذا هو قد أُعطي شطر الحسن، فرحب ودعا لي بخير، ثم عرج بنا إلى السماء الرابعة، فاستفتح جبريل عليه السلام فقيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه، ففتح لنا فإذا أنا بإدريس، فرحب ودعا لي بخير، قال الله ـ عَزَّ وجَلَّ ـ: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ (مريم:٥٧)، ثم عرج بنا إلى السماء الخامسة، فاستفتح جبريل عليه السلام فقيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟

قال: محمد ﷺ، قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه، ففتح لنا فإذا أنا بهارون ﷺ، فرحب ودعا لي بخير، ثم عرج بنا إلى السماء السادسة، فاستفتح جبريل ﷺ فقيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد ﷺ، قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه، ففتح لنا فإذا أنا بموسى ﷺ، فرحب ودعا لي بخير، ثم عرج بنا إلى السماء السابعة، فاستفتح جبريل ﷺ فقيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد ﷺ، قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه، ففتح لنا فإذا أنا بإبراهيم ﷺ مسنداً ظهره إلى البيت المعمور، وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه، ثم ذهب بي إلى سدرة المنتهى، وإذا ورقها كآذان الفيلة، وإذا ثمرها كالقلال، قال: فلما غشيها من أمر الله ما غشى تغيرت، فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها.

فأوحى الله إليَّ ما أوحى ففرض عليَّ خمسين صلاة في كل يوم وليلة، فنزلتُ إلى موسى ﷺ فقال: ما فرض ربك على أمتك؟ قلتُ: خمسين صلاة، قال: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف، فإن أمتك لا يطيقون ذلك، فإني قد بلوت بني إسرائيل وخبرتهم، قال: فرجعت إلى ربي فقلت: يا رب، خفف على أمتي، فحط عني خمساً، فرجعت إلى موسى فقلت: حط عني خمساً، قال: إن أمتك لا يطيقون ذلك، فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف .. قال: فلم أزل أرجع بين ربي ـ تبارك وتعالى ـ وبين موسى ﷺ حتى قال: يا محمد، إنهن خمس صلوات كل يوم وليلة، ولكل صلاة عشر، فذلك خمسون صلاة ومن همّ بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة، فإن عملها كتبت له عشراً، ومن همّ بسيئة فلم يعملها لم تكتب شيئاً، فإن عملها كتبت سيئة واحدة. قال: فنزلت حتى انتهيت إلى موسى ﷺ فأخبرته، فقال: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف، فقال رسول الله ﷺ: قد رجعت إلى ربي حتى استحييت منه»[1].

---

(١) صحيح: أخرجه الإمام مسلم (١٦٢).

وعنصر الإعجاز في رحلة الإسراء الأرضية: هو الزمن؛ لأن النبي ﷺ انطلق من مكة إلى المسجد الأقصى في زمن قليل، وهذا الذي أنكره المشركون في مكة قالوا: نضرب لها أكباد الإبل شهراً من مكة إلى بلاد الشام، وأنت تقول أنك انطلقت من مكة إلى المسجد الأقصى ثم إلى السموات العلى وعُدت في جزء من الليل؛ لأن الله قال: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً﴾ (الإسراء:١).

وليلاً عند علماء اللغة أي في جزء من الليل، ولم يقل ليلة لتقول بأن الإسراء استغرق ليلة بكاملها، لا بل استغرق جزءاً من الليلة، قال تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (الإسراء:١)، وانتبه لهذه الآية التي ختمت بقوله سبحانه: ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾، وكان من السياق أن يقول: «إنه على كل شيء قدير»، «إنه عزيز حكيم» ليظهر عظمته وقدرته، وإنما قال: ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾، أي الذي سمع قول قومك لك ورأى فعل قومك بك، فقد رأى وسمع سبحانه ما فعله أهل مكة بالنبي ﷺ وما فعله أهل الطائف به ﷺ، فأراد ربنا أن يكرمه ويشرفه؛ لأن الإسراء معجزة فريدة ليست تأييداً للدعوة بقدر ما هي تأييد لصاحب الدعوة بأبي هو وأمي ﷺ.

ويبقى أن نعلم عقيدة أهل السنة في رحلة الإسراء والمعراج، وأنها كانت بجسد النبي ﷺ وروحه يقظة لا منامًا، ولكن عُباد العقل ينكرون ذلك لعنصر الزمن، يقولون كيف يقطع هذه المسافة التي يقطعها الناس في شهور في لحظات؟

نقول: ألم يبدأ ربُنا ـ جل وعلا ـ الكلام بقوله ﴿سُبْحَانَ﴾، تنزيه لأفعاله وأسمائه وصفاته ـ جل وعلا ـ، أي إذا كان الفعل من الله فنزهوا فعل الله عن فعلكم ونزهوا صفات الله عن صفاتكم، ونزهوا قول الله عن قولكم ﴿الَّذِي

أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً﴾، والعبد في اللغة تطلق على الإنسان بروحه وبدنه، لا يطلق لفظ العبد على الروح دون البدن، والسرى هو السير ليلاً.

قال القاسمي ـ رحمه الله ـ: دلت الآية على ثبوت الإسراء، وهو سير النبي ﷺ إلى بيت المقدس ليلاً.

قال القاضي عياض: وذهب معظم السلف والمسلمين إلى أنه إسراء بالجسد وفي اليقظة وهو الحق. قال: والصحيح إن شاء الله أنه إسراء بالجسد والروح في القصة كلها، وعليه تدل الآية وصحيح الأخبار والاعتبار.

ولا يعدل عن الظاهر والحقيقة إلى التأويل إلا عند وجود نص أو قرينة تدل على أن الظاهر غيرمراد، إذ لو كان منامًا لقال بروح عبده، ولم يقل: ﴿بِعَبْدِهِ﴾، ولو كان منامًا لما كان فيه آية ولا معجزة، ولما استبعده الكفار ولا كذبوه فيه ولا ارتد به ضعفاء من أسلم وافتتنوا به، إذ فعل هذا في المنامات لا ينكر، بل لم يكن ذلك منهم إلا وقد علموا أن خبره إنما كان عن جسمه وحال يقظته.

ومما يدل على أنه يقظة: ما رواه البخاري عن جابر بن عبد الله ﷺ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «لما كذبتني قريش، قمت في الحِجر، فجلى الله لي بيت المقدس، فطفقت أخبرهم عن آياته وأنا انظر إليه»، فلو أنه أخبرهم بأنها رؤيا رآها لما اختبروه بالسؤال عن آياته وعلاماته.

معجزة رفع بيت المقدس لنبي الله ﷺ حتى يراه وهو بمكة:

أخرج الإمام مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لقد رايتني في الحجر وقريش تسألني عن مسراي، فسألتني عن اشياء من بيت المقدس لم أثبتها، فكربت كربة ما كربت مثله قط. قال: فرفعه الله لي

انظر إليه ما يسألون عن شيء إلا أنبأتهم به، وقد رأيتني في جماعة من الأنبياء فإذا موسى قائم يصلي أقرب الناس شبهاً به عروة بن مسعود الثقفي، وإذا إبراهيم عليه السلام قائم يصلي أشبه الناس به صاحبكم (يعني نفسه)، فحانت الصلاة فأممتهم، فلما فرغت من الصلاة قال قائل: يا محمد، هذا مالك صاحب النار فسلم عليه، فالتفت إليه فبدأني بالسلام»[(١)].

معجزة إنشقاق القمر:

إنشقاق القمر آية عُظمى أعطاها الله لنبيه ﷺ دليلاً على نبوته ﷺ، وقد قال الخطابي وغيره: إنشقاق القمر آية عظيمة لا يكاد يعدلها شيء من آيات الأنبياء، وقد تواترت النصوص التي تثبت إنشقاق القمر، كما قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ وغيره قال: وهذا أمر متفق عليه، وأنه كان إحدى المعجزات الباهرات.

أخرج الشيخان من حديث أنس رضي الله عنه أن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آية، فأراهم القمر شقتين حتى رأوا حراء بينهما[(٢)].

وأخرج الشيخان أيضًا من حديث بن مسعود رضي الله عنه قال: «انشق القمر ونحن مع النبي ﷺ بمنى فقال: «اشهدوا»[(٣)].

وذهبت فرقة نحو الجبل. وفي رواية: انفلق القمر فلقتين، فكانت فلقة وراء الجبل وفلقة دونه، فقال لنا رسول الله ﷺ: «اشهدوا»[(٤)].

---

(١) صحيح مسلم (١٧٢).

(٢) متفق عليه: البخاري (٣٨٦٨)، ومسلم (٢٨٠٢).

(٣) متفق عليه: البخاري (٣٨٦٩)، ومسلم (٢٨٠٠).

(٤) متفق عليه: البخاري (٣٨٦٩)، ومسلم (٢٨٠١).

OBEIKAN.COM

معجزة حنين الجذع لرسول الله ﷺ:

ففي صحيح البخاري من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن النبي ﷺ كان يقوم يوم الجمعة إلى شجرة أو نخلة، فقالت امرأة من الأنصار ـ أو رجل ـ: يا رسول الله، ألا نجعل لك منبرًا؟ قال: «إن شئتم»، فجعلوا له منبرًا، فلما كان يوم الجمعة دفع إلى المنبر، فصاحت النخلة صياح الصبي، ثم نزل النبي ﷺ فضمه إليه يئن أنين الصبي الذي يُسكَّن، قال: «كانت تبكي على ما كانت تسمع من الذكر عندها»[1].

وفي سُنن الدارمي بإسناد صحيح من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ يقوم الجمعة فيسند ظهره إلى جذع منصوب في المسجد فيخطب الناس، فجاءه رومي فقال: ألا أصنع لك شيئًا تقعد عليه وكأنك قائم، فصنع له منبرًا له درجتان، ويقعد على الثالثة، فلما قعد نبي الله ﷺ على ذلك المنبر خار الجذع كخوار الثور حت ارتج المسجد حزنًا على رسول الله ﷺ، فنزل إليه رسول الله ﷺ من المنبر فالتزمه وهو يخور، فلما التزمه رسول الله ﷺ سكن، ثم قال: «أما والذي نفس محمد بيده، لو لم التزمه لما زال هكذا إلى يوم القيامة حزنًا على رسول الله ﷺ»، فأمر به رسول الله ﷺ فدفن[2].

وكان الحسن إذا حدث بهذا الحديث يقول: يا معشر المسلمين، الخشبة تحن إلى رسول الله ﷺ شوقًا إلى لقائه، فأنتم أحق أن تشتاقوا إليه.

وبالجملة، فإن أحاديث حنين الجذع أكثر من أن تُحصر، ومن ثَم قال البيهقي ـ رحمه الله ـ: قصة حنين الجذع من الأمور الظاهرة التي حملها الخلف

---

(١) صحيح البخاري (٩٥٠٢)، وابن ماجة (١٤١٧).

(٢) الدارمي (٤١).

عن السلف، ورواية الأخبار الخاصة فيها كالتكلف، وفي الحديث دلالة على أن الجمادات قد يخلق الله لها إدراكًا كالحيوان، بل كأشرف الحيوان، وفيه تأييد لقول من يحمل: ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ ﴾ (الإسراء: ٤٤)، على ظاهره، وقد نقل ابن أبي حاتم في (مناقب الشافعي) عن أبيه عن عمرو بن سواد عن الشافعي قال: ما أعطى الله نبيًا ما أعطى محمدًا، فقلت: أعطي عيسى إحياء الموتى، قال: أعطي محمدًا حنين الجذع حتى سُمع صوته، فهذا أكبر من ذلك.

فهذا غيض من فيض وقليل من كثير من معجزات النبي ﷺ، وللمزيد ينظر في كتب دلائل النبوة؛ ككتاب (دلائل النبوة) للبيهقي، و(دلائل النبوة) لأبي نعيم، و(الصحيح المسند من دلائل النبوة) لفضيلة الشيخ/ مقبل بن هادي الوادعي ـ رحمه الله ـ، وكتاب (الشفا بتعريف حقوق المصطفى) للقاضي عياض ـ رحمه الله ـ.

الأصل السادس
معرفة قدر النبي ﷺ

إذا أردت أن تعرف قدر النبي ﷺ، فعليك بمعرفة قدره ﷺ عند ربه ومولاه ـ جَلَّ في علاه ـ، فإن شأنه عند الله عظيم وقدره عند ربه لكريم، فلقد خلق الله الخلق واصطفى من الخلق الأنبياء واصطفى من الأنبياء الرسل واصطفى من الرسل أولي العزم الخمسة: نوحًا وإبراهيم وموسي وعيسى ومحمدًا ـ صلوات ربي وسلامه عليهم ـ، واصطفى من أولي العزم إبراهيم ومحمدًا، ثم اصطفى محمدًا على جميع خلقه، فشرح له صدره ورفع له ذكره، وأعلى له قدره، ووضع عنه وزره، وزكاه ربه في كل شيء.

OBEIKAN.COM

زكَّاه في عقله، فقال سبحانه: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى﴾ (النجم:٢).

وزكَّاه في صدق، فقال سبحانه: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى﴾ (النجم:٣).

وزكَّاه في فؤاده، فقال سبحانه: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾ (النجم:١١).

وزكَّاه في بصره، فقال سبحانه: ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى﴾ (النجم:١٧).

وزكَّاه في صدره، فقال سبحانه: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ (الشرح:١).

وزكَّاه في ذكره، فقال سبحانه: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ (الشرح:٤).

وزكَّاه في طهره، فقال سبحانه: ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ﴾ (الشرح:٢).

وزكَّاه في حلمه، فقال سبحانه: ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (التوبة:١٢٨).

وزكَّاه كله، فقال سبحانه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم:٤).

بأبي هو وأمي - ﷺ - .

اغر عليه للنبوة خاتم ◆◆ من نور يلوح ويشهد

وضم الإله اسم النبي إلى اسمه ◆◆ إذ قال في الخمس المؤذن أشهد

وشق له من اسمه ليجله ◆◆ فذو العرش محمود وهذا محمد

ويتجلى تكريم الرب العلي للنبي ﷺ في قسم الله - جل وعلا - بعمر الحبيب المصطفى ﷺ، قال ابن عباس رضي الله عنهما: ما خلق الله وما ذرأ وما برأ نفسًا أكرم عليه من محمد، وما سمعت الله أقسم بحياة أحد غير محمد ﷺ، فقال - جل وعلا -: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ (الحجر:٧٢)، أقسم الله بحياة حبيبه المصطفى، فيقول ربه له: وحياتك يا محمد إن أهل الكفر والشرك في ضلالهم يترددون ويتحيرون. بل لم يقسم الله - جل وعلا - لنبي من أنبيائه بصفة الرسالة إلا للحبيب محمد ﷺ، فقال سبحانه: ﴿يسٓ ۝١ وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ۝٢ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ (يس:١-٣).

يقسم الله لنبينا فقط بأنه رسولٌ من عنده، بل وأقسم الله بالضحى: ﴿وَالضُّحَىٰ (١) وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ (٢) مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ (٣) وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ (٤) وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ (٥) أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ (٦) وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ (٧) وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ (٨) فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ (٩) وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ (١٠) وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ (الضحى).

أقسم سبحانه بالضحى أنه ما أهمل محمداً ﷺ وما قلاه بعدما اختاره واصطفاه واجتباه، وأن ما أعده له في الآخرة خير له من كل ما أعطاه في دنياه، وقد جمع الله الكرامة والسعادة في الدارين مع الزيادة.

فعليك أيها المحب أن تتدبر لكلام الله لتقف على قدر حبيبك عند ربه ومولاه، لقد خاطب الله جميع الأنبياء والمرسلين بأسمائهم مجردة: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ (البقرة:٣٥)، ﴿قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ﴾ (هود:٤٨)، ﴿وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ (١٠٤) قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا﴾ (الصافات:١٠٤-١٠٥)، ﴿يَا مُوسَىٰ (١١) إِنِّي أَنَا رَبُّكَ﴾ (طه:١١-١٢)، ﴿يَا عِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ (آل عمران:٥٥)، ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ﴾ (ص:٢٠٦)، ﴿يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ﴾ (مريم:٧)، ﴿يَا يَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ﴾ (مريم:١٢)، ﴿قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ﴾ (هود:٨١).

أما النبي ﷺ، فنادى عليه ربه بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (٤٥) وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾ (الأحزاب:٤٥-٤٦)، ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ﴾ (المائدة:٤١)، ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ (١) قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (المزمل:١-٢)، ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (١) قُمْ فَأَنذِرْ (٢) وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ (٣) وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ (٤) وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ (٥) وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ (٦) وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾ (المدثر:١-٧).

وما ذكر الله اسم النبي ﷺ إلا مقرونًا بالرسالة، فقال سبحانه: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ (آل عمران: ١٤٤).

وخصه ـ تبارك وتعالى ـ بالشفاعة العظمى في الآخرة، وهي المقام المحمود الذي ذكره ربنا في قوله: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ (الإسراء: ٧٩).

وخصه سبحانه بالوسيلة، وهي أعلى منزلة في الجنة، كما في صحيح مسلم من حديث عبد الله بن عمرو أن النبي ﷺ قال: «**إذا سمعتم المؤذن يؤذن فقولوا مثلما يقول، ثم صلوا عليَّ، فإنه من صلى عليَّ مرة صلى الله عليه بها عشرًا، ثم سلوا الله ليَ الوسيلة، فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد، وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل الله لي الوسيلة حلت له شفاعتي**»[(١)].

وخصه الله بالكوثر، هل تدرون ما الكوثر؟ هو حوض أو نهر في الجنة، ماءه أشد بياضًا من الثلج، وأحلى مذاقًا من اللبن بالعسل وطيبه أو طينه كالمسك الأذفر، وعدد نجومه بعدد نجوم السماء، من شرب منه شربة بيد الحبيب محمد ﷺ لا يشقى بعدها أبدًا حتى يسعد بالنظر إلى وجه الله في الجنة، قال تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ (الكوثر).

وفي الصحيحين من حديث أنس أن النبي ﷺ قال: «**بينما أنا أسير في الجنة إذا أنا بنهر حافتاه قباب الدر المجوف، فقلت: ما هذا يا جبريل؟ فقال جبريل:**

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم (٣٨٤).

هذا الكوثر الذي أعطاك ربك - عَزَّ وجَلَّ -، فإذا طيبه أو طينه مسك أذفر»[١].

واللفظ للبخاري.

وفي رواية مسلم من حديث أنس أن النبي ﷺ قال: «حوض أشد بياضًا من الثلج، وأحلى من اللبن بالعسل، عدد آنيته أكثر من نجوم السماء، وإني لأرد الناس عنه يوم القيامة (أي من غير المؤمنين) كما يرد الرجل إبله عن حوضه»، فقالوا: وهل تعرفنا يومئذ يا رسول الله؟ (هل تعرف أمتك من بين سبعين أمة في أرض المحشر؟!)، فقال ﷺ: «إن لكم يومئذ سيما (أي علامة تختلفون بها عن كل الأمم)، تأتون أو تردون عليَّ غرًا محجلين من أثر الوضوء»[٢].

ثم أخذ الله الميثاق على جميع النبيين والمرسلين إن بُعث فيهم محمد ﷺ أن يؤمنوا به وأن ينصروه، قال سبحانه: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ﴾ (آل عمران: ٨١).

ويبين لنا النبي ﷺ مكانته عند ربه سبحانه، كما في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأنا أول من ينشق عنه القبر، وأنا أول شافع وأول مشفع»[٣].

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أيضًا: أن النبي ﷺ قال: «فضلت على الأنبياء بست: أوتيت جوامع الكلم، ونصرت بالرعب مسيرة شهر، وأحلت

---

(١) متفق عليه: البخاري (٦٥٨١)، ومسلم (٤٠٠).

(٢) صحيح: أخرجه مسلم (٢٤٧)، والترمذي (٣٣٦١)، وابن ماجة (٤٣٣٥)، وأحمد (٢/ ١١٢).

(٣) صحيح: أخرجه مسلم (٢٢٧٨)، والترمذي (٣١٤٨)، وأحمد (١/ ٢٨١).

OBEIKAN.COM

لي الغنائم، وجُعلت لي الأرض طهوراً ومسجداً، وأرسلت إلى الناس كافة، وختم بي النبيون»[١].

وفي الصحيحين من حديث أنس رضي الله عنه قال: لما أُتي النبي ﷺ ليلة الإسراء بالبراق استصعب البراق على النبي ﷺ (أي انتفض البراق ولم يتمكن النبي ﷺ أول الأمر من ركوبه)، فقال جبريل للبراق: «بمحمد تفعل هذا؟ فوالله ما ركبك أحد أكرم على الله من محمد»، فأرفض البراق عرقًا.

وفي صحيح مسلم من حديث أنس: أن النبي ﷺ قال: «آتي باب الجنة فأستفتح، فيقول لي خازن الجنان: من انت؟ فأقول: محمد، فيقول الخازن: بك أُمرت ألا افتح لأحد قبلك»[٢].

هذه هي مكانة النبي ﷺ عند الرب العلي سبحانه، ولما لا؟! أليس هو محمد ﷺ الذي جمع له ربنا جمال الخَلْق مع كمال الخُلق وحسن الآداب ﷺ، فلقد أكمل الله المحاسن والكمال البشري في الحبيب محمد ﷺ، منَّ الله عليه بجمال الصورة واستواء البدء ووضاءة الوجه وقوة الفكر والعقل ودقة الفهم وسلامة القلب وكرم النسب وشرف الأصل ﷺ.

(١) صحيح: أخرجه مسلم (٥٢٣)، والترمذي (١٥٥٣).

(٢) صحيح: أخرجه مسلم (١٩٧)، وأحمد (٣/ ١٣٦).

OBEIKAN.COM

الأصل السابع

معرفة صبر النبي ﷺ على أذى الكفار والمنافقين

حتى يصل إلينا هذا الدين

لقد تحمل النبي ﷺ أنواعًا عديدة من أذى المشركين، وكلما رأوا صموده لتبليغ دعوة الحق إلى الخلق زادوا في عنادهم والتفنن في إيذائه ﷺ، معنويًا بالسخرية والتحقير والاستهزاء والتكذيب والتضحيك، قصدوا بها تخذيل المسلمين وتوهين قواهم المعنوية.

فرموا النبي ﷺ بتهم هازلة وشتائم سفيهة.. فكانوا ينادونه بالمجنون: ﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ (الحجر:٦)، ويصفونه بالسحر والكذب: ﴿وَعَجِبُوا أَن جَاءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ﴾ (ص:٤)، وكانوا يستقبلونه بنظرات ملتهبة ناقمة وعواطف منفعلة هائجة: ﴿وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ﴾ (القلم:٥١).

وكانوا يقومون بإثارة الشبهات وبث الدعايات الكاذبة ونشر الإيرادات الواهية حول هذه التعاليم التي يوحى إليه بها وحول ذاته وشخصيته ﷺ والإكثار من ذلك بحيث لا يبقى للعامة مجال في تدبر دعوته، فكانوا يقولون عن القرآن: ﴿أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ (الفرقان:٥)، ويقولون: ﴿إِنْ هَٰذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ﴾ (الفرقان:٤)، ويقولون: ﴿إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ﴾ (النحل:١٠٣)، ويقولون عن الرسول ﷺ: ﴿مَا لِهَٰذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ﴾ (الفرقان:٧).

ولم يكتف الأمر على التعذيب المعنوي، بل لقد أوذي النبي ﷺ حسيًا

بإيذاءات عديدة.

ففي الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: «**قلت: يا رسول الله، هل مر عليك يوم كان أشد عليك من يوم أُحد؟**» (يوم أُحد الذي شُج فيه وجهه الشريف، وكسرت رباعيته، ونزف الدم الشريف من جسده الطاهر ﷺ).

فقال ﷺ: «**لقد لقيت من قومك ما لقيت يا عائشة، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة، يوم عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن كلال، وهو من أشراف أهل الطائف، فلما لم يجبني إلى ما أردت انطلقت وأنا مهموم على وجهي، ولم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب**»[(١)].

والله ما ذهب النبي ﷺ إلى أهل الطائف يريد مالاً ولا جاهًا ولا وجاهة، بل ذهب إلى الطائف على قدميه المتعبتين الدائبتين لم يجد بعيرًا فسار على قدميه قرابة السبعين كيلو مترًا تحت حرارة الشمس التي تصهر الجبال وتذيب الحديد على رمال انعكست عليها أشعة الشمس فكادت أن تأخذ الأبصار، ذهب النبي ﷺ ليقول لهم: قولوا لا إله إلا الله تفلحوا في الدنيا والآخرة، فماذا فعل به أهل الطائف؟ رموه بالحجارة، طردوه لم يقدموا له طعامًا ولا شرابًا، باستثناء عداس رضي الله عنه الذي أسلم ومنَّ الله عليه بالإيمان في هذه الرحلة، وعاد والدماء تنزف من قدميه.

يقول ﷺ: «**فانطلقت وأنا مهموم على وجهي ولم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب، فنظرت فإذا بسحابة قد أظلتني، فنظرت فإذا فيها جبريل عليه السلام، فنادى عليَ جبريل وقال: يا رسول الله، إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا به عليك، وقد أرسل الله إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم يا رسول الله، فنادى عليَّ ملك الجبال وقال: يا رسول الله،**

---

(١) متفق عليه: البخاري (٣٢٣١)، ومسلم (١٧٩٤).

لقد ارسلني الله إليك، فمرني بما شئت فيهم ـ ثم قال ملك الجبال ـ: والله لو أمرتني أن اطبق عليهم الأخشبين لفعلت». والأخشبان جبلان عظيمان بمكة، والله لو أمر النبي ﷺ ملك الجبال لحطم تلك الجماجم الصلدة وتلك الرؤوس العنيدة، ولسالت دماء من الطائف بحورًا وأنهارًا ليراها أهل مكة بمكة، ولكن نهر الرحمة وينبوع الحنان الرحمة المهداة والنعمة المسداة ما خرج إلا لله، فما انتقم لنفسه وما غضب لنفسه، ما غضب إلا لله، فما زالت الدماء تنزف من قدميه المتعبتين، ومع ذلك يرد نبي الرحمة على ملك الجبال ويقول: **«لا يا ملك الجبال، بل إني أرجو الله تعالى أن يخرج من أصلابهم من يوحد الله ـ جَلَّ وعَلا ـ»**[1].

لقد لاقى النبي ﷺ من قومه أذىً كثيرًا، فتحمل النبي ﷺ من أجل تبليغ دعوة ربه ـ سبحانه وتعالى ـ.

فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «بينما رسول الله ﷺ يصلي عند البيت وأبو جهل وأصحاب له جلوس، وقد نُحرت جزور بالأمس، فقال أبو جهل: أيكم يقوم إلى سلا جزور بني فلان فيأخذه فيضعه في كتف محمد إذا سجد؟ فانبعث أشقى القوم فأخذه، فلما سجد النبي ﷺ وضعه بين كتفيه، قال: فاستضحكوا وجعل بعضهم يميل على بعض، وأنا قائم أنظر لو كان لي مَنَعة طرحته عن ظهر رسول الله ﷺ.

والنبي ﷺ ما يرفع رأسه حتى انطلق إنسان فأخبر فاطمة، فجاءت وهي جويرية فطرحته عنه ثم أقبلت عليهم تشتمهم، فلما قضى النبي ﷺ صلاته رفع صوته ثم دعا عليهم، وكان إذا دعا دعا ثلاثًا وإذا سأل سأل ثلاثًا، ثم قال:

---

(١) متفق عليه: البخاري (٣٢٣١)، ومسلم (١٧٩٥).

«اللهم عليك بقريش» ثلاث مرات، فلما سمعوا صوته ذهب عنهم الضحك وخافوا دعوته، ثم قال: «اللهم عليك بأبي جهل بن هشام، وعتبة بن ربيعة، وشيبة ابن ربيعة، والوليد بن عتبة، وامية بن خلف، وعقبة بن أبي معيط»، وذكر السابع ولم أحفظه، فوالذي بعث محمداً ﷺ بالحق، لقد رأيت الذين سَمَّى صرعى يوم بدر ثم سُحبوا إلى القليب، قليب بدر»[1].

وعن عروة بن الزبير قال: سألت عبد الله بن عمرو بن العاص، قال: قلت: حدثني بأشد شيء صنعه المشركون برسول الله ﷺ، قال: اقبل عقبة بن أبي مُعيط ورسول الله ﷺ يصلي عند الكعبة، فلوى ثوبه في عنقه فخنقه خنقًا شديداً، فأقبل أبو بكر رضي الله عنه فأخذ بمنكبيه فدفعه عن رسول الله ﷺ ثم قال: «اتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم».

والنبي ﷺ يصف ما صنعه به عقبة بن أبي مُعيط فيقول ﷺ: «اتدرون ما صنع هذا بي، جاء وانا ساجد خلف المقام، فوضع رجله على عنقي وغمزها، فما رفعها حتى ظننت ان عيني ستندران، وجاء مرة أخرى بسلا شاة فألقاه على رأسي وانا ساجد، فجاءت فاطمة فغسلته عن رأسي»[2].

وفي الصحيحين من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما نزلت: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ (٢١٤)﴾ (الشعراء: ٢١٤)، صعد النبي ﷺ على الصفا، فجعل ينادي: «يا بني عدي» لبطون قريش حتى اجتمعوا، فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولاً لينظر ما هو، فجاء أبو لهب وقريش، فقال: «ارايتكم لو اخبرتكم ان خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم اكنتم مصدقي؟»، قالوا: نعم، ما جربنا

---

(١) متفق عليه: البخاري (٢٤٠)، ومسلم (١٧٩٤).

(٢) القرطبي (١٣/٢٦).

عليك إلا صدقًا. قال: «إني نذير لكم بين يدي عذاب شديد»، فقال أبو لهب: تبًا لك سائر اليوم، ألهذا جمعتنا، فنزلت: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ﴾ (المسد: ١-٢)[١].

فهذا أبو لهب عم النبي ﷺ، بدلاً من أن يكون على دينه ويكون من المدافعين عنه، كان على العكس تمامًا، فلا هو على دينه ولا يحميه لقرابته، بل كان خلفه شبرًا بشبر وذراعًا بذراع ليصد الناس عنه.

ففي مسند الإمام أحمد: عن ربيعة بن عباد من بني الديل، وكان جاهليًا فأسلم، قال: رأيت النبي ﷺ في الجاهلية في سوق ذي المجاز وهو يقول: «**يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا**»، والناس مجتمعون عليه ووراءه رجل وضيء الوجه أحول ذو غديرتين يقول: «إنه صابئ كاذب»، يتبعه حيث ذهب، فسألت عنه فقالوا: هذا عمه أبو لهب[٢].

هكذا كان أبو لهب، أحد الأعداء الألداء لرسول الله ﷺ ولدعوته، بدأ حقده على الإسلام مع بداية ظهوره، فأظهر عداوته السافرة وحاول بكل ما يستطيع الصد عن سبيل الله وتكذيب ابن أخيه، وكانت زوجته تقاسمه العداء للنبي ﷺ، فلقد كانت عونًا لزوجها على كفره وجحوده وعناده، فبئست الصاحبة كانت لزوج أثيم، انفردت هذه الشقية بعدة مواقف ضد رسول الله ﷺ، واستخدمت كل الطرق في محاربة الدعوة الإسلامية والانتقاص من رائدها الكريم ﷺ، وظلت على عداوتها إلى أن أخذها الله أخذ عزيز مقتدر.

---

(١) متفق عليه: البخاري (٤٧٧٠)، ومسلم (٢٠٨).

(٢) حسن: رواه أحمد (٤/ ٣٤١)، وابن هشام في «السيرة» (٢/ ٢٨٧).

فقد كانت تعير النبي ﷺ بالفقر، وكانت تضع الشوك في طريقه ﷺ، وكانت تنفق من مالها للصد عن سبيل الله . . قال سعيد بن المسيب: «كانت لها قلادة فاخرة، فقالت: لأنفقنها في عداوة محمد، فأعقبها الله منها حبلاً في جيدها من مسد النار».

وأُوذي في بناته ﷺ بسبب دعوته لدين الله ـ عَزَّ وجَلَّ ـ، فقد كان لأبي لهب من الأبناء معتب وعتبة وعتيبة، وكان عتبة وعتيبة قد عقدا على ابنتي رسول الله ﷺ، فلما بُعث رسول الله ﷺ قال أبو لهب لابنيه: رأسي من رأسيكما، حرام إن لم تطلقا ابنتي محمد، وقالت أمهما أم جميل: طلقاهما يا بني فإنهما صبأتا، فطلقاهما، ولما طلق عتيبة أم كلثوم رضي الله عنها جاء إلى النبي ﷺ حين فارقها فقال: كفرت بدينك وفارقت ابنتك، لا تجيئني ولا أجيئك.

وفي رواية لابن عساكر: أن عتيبة قال: والله لأنطلقن إلى محمد ولأوذينه في ربه، فانطلق حتى أتى النبي ﷺ فقال: يا محمد، هو يكفر بالذي دنا فتدلى، فكان قاب قوسين أو أدنى. وفي رواية أنه قال: يا محمد، هو كافر بالنجم إذا هوى، وبالذي دنى فتدلى. ثم تفل في وجه رسول الله ﷺ ورد عليه ابنته وطلقها.

أرأيت كيف صبر النبي ﷺ، أوذي وضُرب وعُذب، أُتهم بالسحر والكهانة والجنون وغير ذلك، يوضع سلا الجزور على كتفيه وينثر سفيه من سفهاء قريش التراب على رأسه، ويتفل شقي من الأشقياء في وجهه، وقتلوا أصحابه وحاولوا قتله، كل ذلك لاستنقاذنا من النار، ونحن اقتدينا بغيره ولم نهتد بسنته، فبأي وجه سنلقاه على الحوض، بأي عمل نرتجي شفاعته وبأي طاعة نأمل مقابلته في الجنة.

الأصل الثامن

﴿ مطالعة أخبار المحبين للنبي ﷺ ﴾

فمطالعة أخبار الصادقين في حبهم للنبي ﷺ تجعل نفسك تتشوق للإتيان بفعلهم وتتطلع إليه؛ لأن أخبار الأفاضل تغرس الفضائل في النفوس وتدفعها إلى تحمل الشدائد والمكاره في سبيل الغايات النبيلة والمقاصد الجليلة وتبعثها إلى التأسي بذوي التضحيات والعزمات لتسمو إلى أعلى الدرجات وأشرف المقامات، ومن هنا قال بعض العلماء من السلف: «الحكايات جند من جنود الله، يثبت الله بها قلوب أوليائه»، وشاهده من كتاب الله تعالى: قوله سبحانه: ﴿وَكُلاًّ نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاء الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (هود: ١٢٠).

وقال الإمام أبو حنيفة ـ رحمه الله ـ: «الحكايات عن العلماء ومحاسنهم أحب إليَّ من كثير من الفقه؛ لأنها آداب القوم». فمن أراد أن يتعلم الصدق في محبة النبي فليتعلمها من قصص محبة الصحابة للنبي، فهم أصحاب الحظ الأوفى من هذه المحبة، وقد وردت أخبار كثيرة في مدى محبتهم للنبي ﷺ وشوقهم إليه، فعن عبدة بنت خالد بن معدان قالت: ما كان خالد يأوي إلى فراشٍ إلا وهو يذكر من شوقه إلى رسول الله ﷺ وإلى أصحابه من المهاجرين والأنصار، يسميهم ويقول: هم أصلي وفصلي وإليهم يحن قلبي، طال شوقي إليهم.

وعن أنس رضي الله عنه في قصة إسلام أبي قحافة رضي الله عنه قال: فلما مد يده يبايعه بكى أبو بكر رضي الله عنه فقال النبي ﷺ: «ما يبكيك؟»، قال: «لأن تكون يد عمك» يقصد أبا طالب «مكان يده» يقصد أباه «ويقر الله عينك أحب إليَّ من أن يكون.

ومن ذلك قول عمر للعباس عم رسول الله ﷺ حين أُسر يوم بدر: «يا عباس، أسلم، فوالله لئن تسلم أحب إليَّ من أن يسلم الخطاب أبي، وما ذلك إلا لما رأيت

رسول الله ﷺ يعجبه إسلامك».

وعن ابن إسحاق أن امرأة من الأنصار قتل أبوها وأخوها وزوجها يوم أُحد مع رسول الله ﷺ، فقالت: ما فعل رسول الله ﷺ؟ قالوا: خيرًا، هو بحمد الله كما تحبين، قالت: أرنيه حتى أنظر إليه، فلما رأته قالت: كل مصيبة بعدك جلل.

وسُئل على بن أبي طالب رضي الله عنه كيف كان حبكم لرسول الله ﷺ؟ قال: «كان أحب إلينا من أموالنا وأولادنا وآبائنا وأمهاتنا ومن الماء البارد على الظمأ».

ولما احتضر بلال رضي الله عنه نادت امرأته: وحزناه، فقال: «واطرياه، غدًا ألقى الأحبة محمد وحزبه».

ولما أخرج أهل مكة زيد بن الدثنة من الحرم ليقتلوه، قال له أبو سفيان بن حرب: أنشدك الله يا زيد، أتحب أن محمدًا الآن عندنا مكانك يضرب عنقه وأنك في أهلك؟ فقال زيد: «والله ما أحب أن محمدًا الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة وإني جالس في أهلي»، فقال أبو سفيان: ما رأيت من الناس أحدًا يحب أحد كحب أصحاب محمدٍ محمدًا.

وعن سعيد بن المسيب قال: لو شهدت لأحد أنه من أهل الجنة لشهدت لابن عمر، يقول عنه مولاه نافع: «لو نظرت إلى ابن عمر إذا اتبع سنة النبي ﷺ في كل مكان صلى فيه، حتى إن النبي ﷺ نزل تحت شجرة فكان ابن عمر يتعاهد تلك الشجرة فيصُب في أصلها الماء لئلا تيبس».

وعن عمرو بن العاص رضي الله عنه يقول: «ما كان أحد أحب إليَّ من رسول الله ﷺ ولا أجل في عيني منه».

وابن عمر يلبس النعال السبتية دومًا فيسأل عن ذلك فيقول: «لأن النبي ﷺ كان يلبسها، فأحب أن ألبسها».

علامات محبة النبي ﷺ [١]

القاضي عياض أجمل وأمتع في حديثه عن علامات محبة العبد للنبي ﷺ، فيقول ـ رحمه الله ـ: اعلم أن من أحب شيئًا آثره وآثر موافقته، وإلا لم يكن صادقًا في حبه وكان مدعيًا، فالصادق في حب النبي ﷺ من تظهر علامة ذلك عليه، وأولها ـ الاقتداء به واستعمال سنته واتباع أقواله وأفعاله وامتثال أوامره واجتناب نواهيه والتأدب بآدابه في عسره ويسره ومنشطه ومكرهه، وشاهد هذا قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ (آل عمران: ٣١)، وإيثار ما شرعه وحض عليه على هوى نفسه وموافقة شهوته، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ (الحشر: ٩).

وإسخاط العباد في رضى الله تعالى، قال أنس بن مالك رضي الله عنه: قال لي رسول الله ﷺ: «يا بني، إن قدرت ان تصبح وتمسي ليس في قلبك غش لأحد فافعل»، ثم قال لي: «يا بني، وذلك من سنتي، ومن احيا سنتي فقد أحبني، ومن احبني كان معي في الجنة» [٢].

فمن اتصف بهذه الصفة فهو كامل المحبة، ولا يخرج عن اسمها، ودليله قوله ﷺ للذي حده في الخمر فلعنه بعضهم وقال: ما أكثر ما يؤتى به، فقال النبي ﷺ: «لا تلعنوه، فإنه يحب الله ورسوله» [٣].

---

(١) هذا الفصل كله نقلاً عن: «الشفا بتعريف حقوق المصطفى» (٢/ ٢٤).

(٢) الترمذي (٢٦٧٨) وهو ضعيف.

(٣) صحيح البخاري (٦٧٨٠).

ومن علامات محبة النبي ﷺ:

كثرة ذكره له، فمن أحب شيئًا أكثر ذكره، ومنها كثرة شوقه إلى لقائه، فكل حبيب يحب لقاء حبيبه، وفي حديث الأشعريين عند قدومهم المدينة أنهم كانوا يرتجزون: «غدًا نلق الأحبة، محمدًا وصحبه».

ومن علاماته مع كثرة ذكره تعظيمه له وتوقيره عند ذكره وإظهار الخشوع والإنكسار مع سماع اسمه، قال بعض العلماء: كان أصحاب النبي ﷺ بعده لا يذكرونه إلا خشعوا واقشعرت جلودهم وبكوا، وكذلك كثير من التابعين منهم من يفعل ذلك محبة له وشوقًا إليه، ومنهم من يفعله تهيبًا وتوقيرًا.

ومنها محبته لمن أحب النبي ﷺ، ومن هو بسببه من آل بيته وصحابته من المهاجرين والأنصار، وعداوة من عاداهم وبغض من أبغضهم وسبهم، فمن أحب شيئًا أحب من يحب، وقال ﷺ في الحسن والحسين: «اللهم إني أحبهما فأحبهما»، وقال: «من أحبهما فقد أحبني ومن أحبني فقد أحب الله، ومن أبغضهما فقد أبغضني ومن أبغضني فقد أبغض الله»، وقال: «الله الله في أصحابي، لا تتخذوهم غرضًا بعدي، فمن أحبهم فبحبي أحبهم، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم، ومن آذاهم فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله، ومن آذى الله يوشك ان يأخذه»، وقال في فاطمة رضي الله عنها: «إنها بضعة مني، يغضبني ما اغضبها»، وقال لعائشة في أسامة بن زيد: «أحبيه، فإني أحبه».

فبالحقيقة من أحب شيئًا أحب كل شيئًا يحبه، وهذه سيرة السلف حتى في المباحات وشهوات النفس وقد قال أنس حين رأى النبي ﷺ يتتبع الدباء من حوالي القصعة: «فما زلت أحب الدباء من يومئذ»، وهذا الحسن بن علي وابن عباس وابن جعفر أتوا سلمى وسألوها أن تصنع لهم طعامًا مما كان يعجب رسول

الله ﷺ ، وكان ابن عمر يلبس النعال السبتية ويصبغ بالصفرة إذ رأى النبي ﷺ يفعل نحو ذلك. ومنها من أبغض الله ورسوله، ومعاداة من عاداه ومجانبة من خالف سنته وابتدع في دينه واستثقاله كل أمر يخالف شريعته، وهؤلاء أصحابه ﷺ قد قتلوا أحباءهم وقاتلوا آباءهم وأبناءهم في مرضاته. وقال له عبد الله بن عبد الله بن أبي: «لو شئت لأتيتك برأسه»، يعني أباه.

ومنها أن يحب القرآن الذي أتى به ﷺ وهدى به واهتدى وتخلق به، حتى قالت عائشة رضي الله عنها: «كان خلقه القرآن»، وحبه للقرآن تلاوته والعمل به وتفهمه، ويحب سنته ويقف عند حدودها، قال سهل بن عبد الله: «علامة حب الله حب القرآن، وعلامة حب القرآن حب النبي ﷺ، وعلامة حب النبي ﷺ حب السنة، وعلامة حب السنة حب الآخرة، وعلامة حب الآخرة بغض الدنيا، وعلامة بغض الدنيا أن لا يدخر منها إلا زاداً وتلفة إلى الآخرة». وقال ابن مسعود رضي الله عنه: «لا يسأل أحد عن نفسه إلا القرآن، فإن كان يحب القرآن فهو يحب الله ورسوله».

ومن علامات حبه للنبي ﷺ شفقته على أمته ونصحه لهم وسعيه في مصالحهم ورفع المضار عنهم، كما كان ﷺ بالمؤمنين رؤوفًا رحيمًا، ومن علامة تمام محبته زهد مدعيها في الدنيا وإيثاره الفقر واتصافه به، وقد قال ﷺ لأبي سعيد الخدري: «إن الفقر إلى من يحبني منكم أسرع من السيل من أعلى الوادي أو الجبل إلى أسفله»، وفي حديث عبد ابن مُغفل قال رجل للنبي ﷺ: يا رسول الله، إني أحبك، فقال: «انظر ما تقول»، قال: والله إني أحبك ثلاث مرات، قال: «إن كنت تحبني فأعد للفقر تجفافًا».